مُواسِمُنا

أربعون مقالاً عن رمضان والعيدين



أحمد بن عبد المحسن العساف



مواسمنا :
أربعون مقالًا عن رمضان والعيدين

ⓒأحمد بن عدالمحسن العساف ، ١٤٤٧هـ

العساف ، أحمد بن عبدالمحسن
مواسمنا : أربعون مقالا عن رمضان والعيدين. / العساف ، أحمد بن عبدالمحسن .- الرياض ، ١٤٤٧هـ

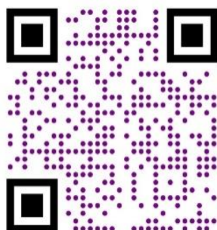
رقم الإيداع: ١٤٤٧/١٣٠١٦
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٦-٣٥٢٢-١

مواسمنا :

أربعون مقالًا عن رمضان والعيدين

أحمد بن عبدالمحسن العسّاف

الطبعة الأولىٰ
١٤٤٧هـــ ٢٠٢٦م






إنها مواسمنا!

منذ بدأت الانتظام في الكتابة، حرصت على استقبال شهر رمضان المبارك بمقال، ونشرت أوائل تلك المقالات في صحيفة رسالة الجامعة، التي تصدرها جامعة الملك سعود. مع الأسف أن مقالات تلك الحقبة غير محفوظة لدي، ولعل سبل الوصول إليها أن تتيسر قريبًا، وهو المأمول.

وكنت أتلقى رسائل التشجيع على تلك المقالات من بعض الأقارب، والأصدقاء، وأساتذة الجامعتين في الرياض- آنذاك- جامعة الملك سعود، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكان أساتذة الجامعة الأخيرة يرسلون شكرهم وثناءهم عبر شقيقي أ.د.عبدالله بن عبدالمحسن العساف، أستاذ الإعلام.

مع مرور الأيام، وتوالي النشر، كنت أظن أن منابع الكتابة عن رمضان قد جفّ لدي! لم يكن لهذا الظن الخاطئ أي داع يسوغه، خاصة أني عندما أقدم برامج تدريبية حول الكتابة، أبتدؤها بالتدريب العملي على صناعة الفكرة عبر تقنيات وأدوات أثبتت التجارب جدواها ونفعها.

لذلك شرعت في استقبال رمضان كل عام بمجموعة من المقالات قبل دخول الشهر، أو خلاله، وكلما ظننت أني فرغت ولم يعد في

الجعبة المزيد، تجيء فكرة جديدة تنقض هذا الرأي، وتؤكد أنه كم ترك الأول للآخر، والحمد لله على فضله وإحسانه.

وبعد اكتمال مجموعة من المقالات رأيت جمعها في كتاب واحد، عسى أن تبقى محفوظة، ويمتد أثرها بزيادة انتشار الكتاب، ثمّ أضفت لها عدة مقالات عن العيد؛ كي يصبح المجموع أربعين مقالًا، فلرقم "أربعين" حضور جميل لافت في مكتبتنا العربية والإسلامية، والتشبه بالكرام فلاح.

كما حرصت على إبقاء العناوين والمقالات كما هي إلّا من إصلاح يسير، وأبقيت تاريخ المقال في نهايته، حتى يدرك القارئ أبعاده الموضوعية والأسلوبية بعد ربطها بزمن الكتابة، فالكتابة عالم له تداخلاته الكثيرة؛ ولذا ابتدأ هذا الكتاب بها، وبها اختتم.

أسأل المولى أن يبارك فيها وفي غيرها، وأن يعين على إخراج بقية الموضوعات في كتب أخرى، وأن يبلغنا رمضان والأعياد على خيرات متوالية، وبركات دائمة، تعم الكاتب والقارئ، والمجتمع والوطن، والأمة والعالم، وما ذلك على الله بعزيز.

أحمد بن عبدالمحسن العسّاف -الرياض
ahmadalassaf@gmail.com

الأربعاء الثاني من شهر شعبان عام ١٤٤٧

٢١ من شهر يناير عام ٢٠٢٦م

الكاتب ورمضان

يتشارك الصيام والكتابة في كونهما من الأعمال البدنية المرتبطة مع الروح بصلة وثيقة؛ ذلك أنّ الصيام يريح الجسد من أثقاله، ويقضي علىٰ هجمة الشبع؛ فيصفو العقل، وتسمو الروح، وتشفّ النفوس عن مكنونها، وتعود الفطرة إلىٰ موضعها، وتلك سانحة يمكن للكاتب أن يفيد منها في ابتداء عمل أو إكماله أو تحديثه؛ ما لم يكن من قوم يصيبهم شيء يشبه الشلل إذا انقطعوا عن الأكل والشرب، وإلّا فما أجمل قبسات الكتابة وفطنتها حينما ينجو المرء من البطنة والبشم، ولربما أصبحت بعض ليالي رمضان أزمنة ملائمة للسمر السردي والثقافي والأدبي، وما أجملها من قربة لله رب العالمين.

كما أن رمضان فرصة ثمينة لصناعة الأفكار التي يمكن أن تغدو إمدادًا للكاتب، وفي تراثنا الأدبي المنثور والمنظوم قدر لا بأس به من إيحاءات شهر رمضان، فمن ذلك التزام الكاتب المصري د.عبدالوهاب عزام إبان سفارته لبلاده في باكستان، بأن يكتب مقالة وقت الفجر من كلّ يوم رمضاني، ثمّ طبع مقالاته الثلاثين تلك في كتاب أسماه النفحات؛ مستثمرًا في عنوانه ومضمونه النفحات الربانية في رمضان. وجعل بعض الروائيين رمضان زمنًا لجميع الرواية أو لبعضها كما صنع

إحسان عبدالقدوس، ونجيب محفوظ، وزيد دماج، ومحمد جبريل، حسبما أشار الكاتب منير عتيبة في مقالة مفصلة.

ويمكن لرمضان أن يصير مادة للكتابة سواء في انتظاره أو وداعه خلال ليلة الرؤية مثلما فعل الكاتب والروائي يحيىٰ حقي، أو للتأمل فيه الذي نراه عند الشيخ علي الطنطاوي، أو لفضح الاحتلال الفرنسي ومناديله المحلية القذرة كما أجاد الشيخ المجاهد والكاتب البليغ محمد البشير الإبراهيمي الذي لم يكتف بالحديث عن الوعظ الرمضاني، وإنما أبان عبث الكافرين والمنافقين بهلال رمضان؛ إذ يثبّتونه وهم في جحورهم، أو يخفونه وهو في كبد السّماء! ولم يفوّت الرافعي علىٰ نفسه الفرصة الرمضانية ليحلّق بالكتابة عن فلسفة الصوم حتىٰ ختم مداده بقوله: ألا ما أعظمك يا شهر رمضان! لو عرفك العالم حق معرفتك لسَمَّاكَ: مدرسة الثلاثين يومًا.

أما الكاتب المعاصر فله تكرار ما كتب أوائله بعد معالجته من زاوية أخرىٰ، أو ابتداع المعاني والصور التي لا تعسر علىٰ من أدمن القراءة، وأطال التأمل، وكرر النظر في اللغة ومعاجمها، وفي الكتب المتعلقة برمضان، ففي هذا الموسم خيرات كثيرة للناس أجمع، ومنها ما يخصّ الكاتب الذي يزين إنتاجه بالحديث عنه، سواء في نواحيه العقدية أو القلبية أو التعبدية الظاهرة، أو بالتدبر في آيات الكتاب العزيز، وشرح أحاديث السنة وأحوال السيرة، أو بمراجعة التاريخ الإسلامي الرمضاني، وهو تاريخ فيه النور والقوة؛ وكيف لا

يكون كذلك والقرآن العزيز نزل في ليلة القدر، ومن أيامه الزاهرات يوم الفرقان في بدر، وساعة فتح مكة بعد الفتح المبين بالحديبية، وفيه أوقات مباركة مثل لحظة الفطر وساعة السحر، وليالي العشر، وتزدحم ضمنه شعب الإيمان المرتبطة بالمجتمع مثل الزكاة، والصدقة، والإطعام، والعفو، ويا باغي الخير الكتابي أقبل!

أيضًا يسع أيّ كاتب أن يعرج علىٰ وصف عادات الناس في رمضان، وموائدهم، وأحوالهم في الطاعات والتكافل والأخلاق، مع التصرفات الحسنة التي تجري من أعمال العلماء والدعاة والحفاظ والحكام والأثرياء في رمضان، إضافة لما يتعرض الشهر الكريم له من هزات عنيفة تحاول اقتلاع قداسته الثابتة حتىٰ في نفوس العصاة علىٰ غيّهم، والأطفال دون سنّ التكليف، ويفتح هذا الباب قولًا عن مقاومة المسلمين لحركة الزيغ والانحراف المتصاعدة لتفريغ رمضان من روحانيته، وتمزيق شبكته الاجتماعية المتشعبة، وإن أمة تنتظر شهر امتناعها عن لذائذها بلهف لأمة حيّة وإن أحاط بها الوهن.

كذلك يمكن للكاتب أن يختبر الطقوس الكتابية التي تسطو عليه في غير رمضان، فإذا نجح في تجاوز عقبتها تيقن بأنها كانت إلىٰ الوهم أقرب منها إلىٰ الحقيقة، وكم من وهم نتخيّله في الحياة، أو سقف نضعه فيحول عن المسير أو الارتقاء، وهو هباء أو عهن منفوش تطير به نفخة من طفل صغير، أو نَفَس زَمِنٍ بصدر عليل؛ بيد أنّ تضخم صورة الوهم في الذهن تجعله كالغول المستحكم، مع أنه ضعيف

الكيـد، كليـل الحيلـة، ويـا لبركـة رمضـان علينـا حينمـا نكسـر العوائـد، ونذيب ما رسخ من الظنون الفاسدة.

وإن رمضـان ليحيـي في الكاتـب الفطـن الطـبن ضـرورة التفاعـل مـع الأزمنـة الماضـية أو الحاضـرة أو المسـتقبلية؛ فهـي زاد لا ينقطـع للكاتـب وأعمالـه، وتمـنح سـرده الإبـداعي حيويـة ومصـداقية وربمـا إثـارة، وكـم في التـاريخ مـن قصـص وسـير وعـبر، ولا يخلـو الـزمن المعاصـر مـن أحـداث ومجريـات وتقلبـات، والمسـتقبل المنظـور والبعيـد تبـدو عنـه إشـارات يمكـن استشـرافها وإن كـان حالهـا الأكيـد مسـطورًا في الغيـب المكنـون، بيـد أن السـنن الإلهيـة لا تتخلّـف، والمقـدمات في الغالـب تـؤول إلىٰ نتـائج يمكـن حسـابها إن بدقـة أو بتقريـب، فهنيئًـا للكتّـاب شـهر رمضان أكثر من مرّة.

الثلاثاء ٢٤ من شهرِ شعبان عام ١٤٤٢

٠٦ من شهر أبريل عام ٢٠٢١ م

لماذا يجب أن نفرح بقدوم رمضان؟

كتبت أكثر من ثلاثين مقالًا عن شهر رمضان المبارك جلّها محفوظ والحمد لله، والذي ضاع منها قليل وله قصة تروى لاحقًا. ما كنت أظن أني أستطيع مواصلة الكتابة إلى هذا الحد دون تكرار كبير. أكدت لي هذه التجربة أن التفكير والتأمل من أهم أدوات الكاتب، وأن حفز الذهن لشيء تجعله مستعدًا لالتقاط الفكرة ولو من شيء عابر كما جرى لي مع رمضان غير مرة. برهنت لي هذه المقالات على صحة مقولة أسلافنا: كم ترك الأول للآخر، وأن فعل شيء لا يتوقف على انعدام مثيله من سابق أو معاصر، فتكثير مساحات الخير مطلب كي نزاحم ونداحم، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، والحمد لله.

ثمّ إني في لحظة استماع لبرنامج إذاعي قرآني، خطر لي سؤال صيرته عنوانًا لهذا المقال؛ فلماذا نفرح بقدوم برمضان؟ ولماذا يظل الفرح باقٍ معنا إلى نهاية الشهر الجليل ولو بدرجات متفاوتة؟ بل لماذا يتسارع الفرح إلينا كلما تقارب الشهر، وعندما نتذكره ونستذكر أحداثه عقب نهايته وابتعاده؟ هذه الخصيصة الرمضانية الفريدة تسوقنا سوقًا إلى الفرح برمضان إن تذكرناه، وحين يقدم علينا، وعندما نعيشه، والحمد لله.

إننا نفرح بهذا الوافد العظيم لارتباط نزول القرآن الكريم في لياليه، وبنزول القرآن جاء الإسلام، وأرسل النبي الخاتم من سادات العرب، وبنزول القرآن حفظت لغتنا وصارت مقدسة، وكل هذا وقع في شهر رمضان الطيب، ولأجل ذلك كله نفرح به، ونتعبد بهذا الفرح، وهو فرح مأمور به، وهو من فضل الله ونعمه، وإنه لخير مما يجمعون، وإنه لسبب لرضىٰ الرب الحكيم، وعسىٰ أن يباهي بنا خالقنا ومولانا ملائكته حين نفرح بهذا الشهر وما فيه من خصائص دينية، ونتعبد لله بذلك رجاء القبول والمضاعفة في الآخرة، مع عمران القلب والنفس بالسكون والراحة والسرور في الدنيا، والحمد لله. ونفرح ببقاء هذا الدين، وحفظ أصوله ومصادره، وزيادة عدد تابعيه وثباتهم، مع كثرة المؤامرات والكيد من كل حدب وصوب، وبأنواع متجددة في وسيلتها ومظهرها وطريقها.

كما نفرح برمضان لما فيه من مضاعفة الأجور، وهي مضاعفة بأكثر من مقدار، وأجلّها ما يكون ليلة القدر؛ لأنها خير من ألف شهر، والرقم بعد الألف مفتوح إلىٰ ما لا يحيط بعلمه إلّا الله الكريم العليم الخبير. نفرح برمضان لأنه يقرب من الجنة بنعيمها، ويباعد عن النار ولهيبها. نفرح برمضان لأنه سنة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، وهو للأمة طريق للتقوىٰ والقربات وليس إصرًا ولا عقوبة. ونفرح به لأنه يجعلنا علىٰ الحق أو مع أهله، ويجنبنا الدخول في الباطل أو مشاكلة أربابه. ونفرح برمضان لأنه من أسباب تكفير الذنوب

والخطايا، وقبل ذلك تضييق سبل الآثام فيه أو هكذا ينبغي، ويفرحنا رمضان بتصفيد الشياطين، وتحزينهم مع إخوانهم من الإنس، وفي تكدير ذينك الفريقين فرح وسعادة، والحمد لله.

كذلك نفرح لما في رمضان من لمة واجتماع، ولأن الفرحة فيه حقيقية لا صورية، وعميقة تشمل الروح والجسد؛ فالصيام ينقي الجسد وينفع الصحة، ونحن فيه نفرح ولا نأثم؛ بل نكسب المزيد من الحسنات بهذا الفرح، وبما يقود إليه من أعمال وطاعات قلبية وبدنية ومالية. نفرح لأننا نتعود فيه علىٰ الصبر، ونقبض علىٰ لذة الانتظار، وبهجة الظفر. نفرح به لأنه يعيننا علىٰ أنفسنا، وعلىٰ كبح شهواتها، وضبط تفاعلاتها، وتهذيب خطواتها، وتعليمها النظام، وتأكيد مرجعيتها، وقيادتها نحو السمو الروحي والخلقي. ونفرح برمضان لأنه مصدر سرور لفئات المجتمع؛ ففرحة الأطفال فيه كبيرة، وفرحة الفقراء لافتة، وفرحة التجار ظاهرة، وفرحة الأخيار بادية، وفرحة التوابين واضحة، وفرحة البيوت والمجتمعات لا تخفىٰ، وفرحة ذوي المطالب الخاصة فيه منتظرة مأمولة، والحمد لله.

إننا نفرح برمضان الذي تزداد بركاته كلما مضىٰ وتقدم، نفرح بصنوف العبادات، بالتصاقنا بالقرآن والدعاء، بكثرة التأله بالأسماء الحسنىٰ، باغتنام عشره الأواخر وتحري ليلة القدر، برجاء القبول والغفران ومحو الزلات، وبذكريات انتصارات الأمة وسحق الباطل وإزهاقه. أيضًا نفرح بالعيد السعيد ويوم الجوائز بعده مباشرة. نفرح

برمضان لأنه يعزز عراقة هذه الأمة في أركانها وشؤونها كافة، ونفرح به لأنه يغيض الأعادي فلا يزال علىٰ الأرض مع شدة المكر والبغي والنكث والكيد مسلمون ومؤمنون ومرابطون، يجمعهم حسن الظن والتفاؤل، وتوحدهم الأحكام والمواسم مثل رمضان الذي فيه وبه ولأجله نفرح ونفرح ونفرح، والحمد لله من قبل ومن بعد!

الأربعاء ٢٠ من شهرِ شعبان عام١٤٤٦

١٩ من شهر فبراير عام٢٠٢٥م





القرآن يستقبل رمضان

شهر شعبان الجميل من أخف شهور السنة وأسرعها مضيًا، وهو يقع بين شهرين عظيمين هما رجب الحرام ورمضان المبارك فنغفل عنه، وقد كان النبي ﷺ يصوم أغلبه استعدادًا للموسم الميمون بلغناه مولانا علىٰ خير حال. وقد ارتبط القرآن العظيم بشهر رمضان ففيه نزل وروجع، وفيه يكثر الناس من تلاوته وتدبره، ولربما أن العلاقة تجاوزت الشهر إلىٰ الفعل؛ فغدا الصيام والقرآن قرينان من صالح الأعمال، والله يجعل لنا منهما الحظ الوافر والنصيب المتقبل.

وهاهنا بعض الأفكار التي يمكن وصفها بأنها من حسن استقبال شهر رمضان، وذلك بالاستعداد له فيما يخص ميزته الكبرىٰ وهي الحياة مع القرآن الكريم سواء أثناء شهر رمضان أو قبله من باب التهيئة، وسيغدو من علامات القبول الاستمرار فيها حتىٰ بعد نهاية الشهر الحبيب؛ فمنها:

١. الزيادة في تلاوة القرآن الكريم عن القدر المعتاد.

٢. تنويع التلاوة ما بين تلاوة للختمة، وأخرىٰ للتدبر، وهكذا.

٣. مراجعة المحفوظ وضبطه، وهو في رمضان سنّة مشتركة بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام.

٤. قراءة كتاب تفسير كامل أو قسم منه سواء من طوال الكتب أو

مختصراتها. وأذكر أن أحد الزملاء قرأ خلال شهر رمضان تفسيرًا كاملًا فوهبه والده تلك النسخة النادرة إكرامًا له. وقد يعين علىٰ ذلك جعل القراءة متوافقة مع آيات صلاة التراويح، أو مع البرنامج الشخصي للتلاوة أو الحفظ.

٥. القراءة في كتب علوم القرآن حتىٰ يعرف المرء شيئًا عن أحكام النسخ، وأسباب النزول، والقرآن المكي والمدني، وغيره من مفردات هذا العلم، وهذه الكتب فيها الواسع ومنها المختصر الذي لا يصعب علىٰ القارئ العادي.

٦. الاستماع لعدة قراء متقنين ذلك أن للسماع أثر في الفهم والتفاعل ودمع العين ووجل القلب.

٧. تدارس معاني السور إجمالًا وفوائدها علىٰ التفصيل مع الأسرة، ولو أن تقرأ الأسرة تفسير الفاتحة وقصار السور وآية الكرسي وأواخر البقرة.

٨. تصحيح التلاوة للصغار وكبار السن والعمالة مع الحرص علىٰ أن يحسنوا قراءة سورة الفاتحة.

٩. تحري أحد المعاني في القرآن الكريم أو إحدىٰ الكلمات وتتبع تفسيرها مثل: فعل (قل)، وكلمة (لعلكم) و أنواع (الرزق)، وافتراء الأقوام والملأ علىٰ الأنبياء والمصلحين، وعقوبات الظلمة، وآيات النصر، والأماكن في القرآن، والأسماء الأعجمية، وغيرها فكتاب ربنا لا يخلق علىٰ كثرة الترداد، ولا تفنىٰ فرائده.

١٠. القـــراءة في غريـــب القـــرآن ونشـــر معـــاني تلـــك الكلمـــات الفصـيحة الرفيعـة واسـتخدامها، ولهـذا العلـم العزيـز كتـب مختصّـرة وأخرىٰ مطولة.

١١. البحـــث عـــن لطـــائف التفسـير إن في كتـب التفسـير أو في شـــروح الأحاديـث وأقـوال الصـحابة رضـي الله عـنهم، أو في بعـض مـا صـنّف في هذا الباب.

١٢. التخطـيط الجـازم لختمـات المصـحف الشـريف سـنويًا، وتمييـز المواسـم مثـل رمضـان، وعشـر ذي الحجـة، وأيـام شـدّ الرحـال إلـىٰ مكـة أو المدينة أو القدس، وقضاء الجوار النفيس فيها.

١٣. مـنح العناية لكـل مـا يتصـل بـالقرآن الكـريم مثـل إذاعـات القـرآن، والتطبيقــات القرآنيــة، وطباعــة المصــحف، ورســمه، والــبرامج المرئيــة المرتبطة بالكتاب المجيد، والكتب التي تصدر تباعًا حوله.

١٤. المشـــاركة الماليـــة أو الفكريـــة أو البدنيـــة أو الوجدانيـــة في أي مشـروع يعتنـي بـالقرآن العزيـز طباعـة ونشـرًا وحفظًـا وتـلاوة وفهمًـا، ولـو بأقل قدْر من المشاركة.

١٥. رفـد المكتبـة المنزليـة بـالمواد المطبوعـة والمسـموعة والمرئيـة في القرآن وعلومه كي تكون أمام عيون أفراد الأسرة.

وكمـا ارتـبط القـرآن الكـريم بشـهر رمضـان الميمـون؛ فكـذلك للسـنة النبويــة المطهــرة علاقــة وثيقــة بالصــيام ورمضــان وبجميــع الأحكــام

والمواسم، ففيها تفصيل وبيان لما أجمل في القرآن ذكره أو حتىٰ لم يرد عنه شيء هناك. وإنه لمن تمام العناية بالقرآن الكريم أن يلتفت المسلمون إلىٰ سنة نبيهم محمد ﷺ، فهي وحي يوحىٰ، فلم يكن الرسول الخاتم ينطق عن الهوىٰ، وتلك مسألة واضحة لدىٰ المسلمين حتىٰ مع محاولات صرفهم عن معينها العذب الصافي؛ فسبحان من جعل في رمضان ترسيخًا وتثبيتًا لهذا المعتقد عند العباد؛ فأكثر أحكام الصيام مستقاة من السنة، ويسعىٰ الناس -محسنهم ومسيئهم- لترطيب أفواههم وتليين قلوبهم بقراءة القرآن الذي يؤكد علىٰ حتمية اتباع النبي الأكرم وطاعته، ومرجعية سنته المطهرة.

فاللهم آتنا من لدنك رحمة إثر رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا يتبعه رشدًا، واجعلنا دومًا من السباقين لكل ما يرضيك، المسارعين للتوبة والأوبة، والخروج من الآثام والذنوب كبيرها وصغيرها، العام منها والخاص، علىٰ الوجه الذي يرضيك عنا، وإن في رمضان لفرصة سانحة لمن وفقه الله لاغتنام هذه المزية التي ورد التأكيد عليها في السنة المحمدية الطاهرة الخالدة حينما روي لنا أشياخ الحديث أن رغام الأنف يستحقه من أدرك رمضان فلم يغفر له!

الجمعة غرة شهر شعبان عام ١٤٤٣

٠٤ من شهر مارس عام ٢٠٢٢ م

رمضان: الضيف المُعَلِم

إكرام الضيف عادة عربية أصيلة لا يهجرها إلا لئام الناس، وقد جاء الإسلام مؤكداً عليها ورافعاً شأنها، وإجلال المعلم مسلَّمة عقلية لا تتخلف إلا عند من لا عقل له، وللعلم وأهله احتفاء كبير وظهور بارز في النصوص الشرعية المقدسة وفي تراث أمتنا الخالد. والشأن أعظم مع ضيف يعطي ويضاعف ولا يأخذ أو يستوهب والأمر آكد مع معلم صادق يربي ويعلم في كل لحظة ولا يكتم أو يغير من الحق شيئاً. وشهر رمضان الأغر ضيف كريم عزيز يحل على المسلمين مرة كل سنة ولا يفارقهم إلا وقد علمهم ما يستفيد منه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

والضيف عند الكرماء يُتلقى ويُستقبل ساعة حضوره بالحفاوة والبشر والسعادة وبكل ما يرغبه الضيف ويحبه؛ وليس من عادات الناس "حساب" وقت قدوم الضيف بل متى جاء استقبل، ولا يجمل بالكرام تسفيه الضيوف واقتراف ما يخالف حق ضيافتهم.

وأما المعلم فيستفاد من علمه وآثاره ويقتبس من أدبه وإشراقاته؛ وحقيق بنا معاشر الطلاب ألا نسيء للمعلم بالانصراف عنه إلى متع زائلة ولذائذ متحولة، وواجب علينا ألا ندع المعلم وحيداً وننساق

خلف أهل المجون والفسوق لأننا حينها سنخسر مرتين: فوات العلم وضياع العمر بالسفاسف.

ومن تقدير الضيف والمعلم ألا يعمل أحد بحضرته ما يكره أو ما يسوءه؛ والعجب يتوالىٰ من أناس لا تحلو لهم المعاصي إلا في رمضان؛ ويزداد العجب من فئام يتمالئون علىٰ إفساد فرحة قدوم الضيف وصرف المضيفين والمتعلمين عن علومه وفيوضه ونفحاته، ووالله لو أن هذا الضيف احتجب عن الناس أو ارتفع من دنياهم بسبب هذا السوء المتناسل والبلاء المتتابع لما كان أمراً مستكثراً منه؛ غير أن فضل الله بعباده ورحمته بهم اقتضت ألا يكون ارتفاع أو احتجاب ونضرع إلىٰ الرحمن الرحيم ألا يحرمنا بركة هذا الموسم وخيريته.

ومن العلوم الرمضانية الجليلة: تغيير العادات، وليس أضعف من إنسان تأسره عادة ولا أصعب من حياة تسير علىٰ نمط واحد فقط. وفي تغيير العادات تكييف علىٰ العيش مع أكثر من حال دون الإدمان علىٰ حالة واحدة طوال العمر ومن غير صعوبة الانفكاك عن بعض المرفهات.

ومن خيرات رمضان بعد كسر العادات: الانتصار علىٰ الشهوات، فللبطن والفرج واللسان والعين والأذن شهوات قد يعتقد صاحبها أن لا خلاص منها فيأتي رمضان مفنداً هذه الحيلة الشيطانية والأكذوبة النفسية ويقول للناس: ها قد صبرتم ساعات وأياماً فمتىٰ تقلعون عما حرم الله ؟

ولا تنكسر العادة وتخف دواعي الشهوة إلا بصبر جميل، والصبر قيمة إيجابية لا سلبية وقوة لا ضعف وعمل لا نكوص وكم نحن بحاجة لتعلم الصبر وفنونه وطول النفس والانتظار حتىٰ نصبر علىٰ تقويم أنفسنا وننتظر نضوج مشاريعنا علىٰ نار هادئة؛ وينتسب جزء من بلاء الأمة لمن لم يصبر فاستعجل!

وإذا ما حل الأضياف في مكان كانوا سببًا في إزالة الشحناء والتواصل بين المتقاطعين وتجاور الفرقاء وربما تبادلوا الأحاديث الودية، فلم لا نجعل من هذا الموسم المعظم فرصة لإزالة ما بنفوسنا من إحن وخلافات علىٰ مستوىٰ الأفراد والتجمعات والدول، ومن أحق الناس بالاستفادة من هذه الفرصة الأخيار من المعتنين بالعمل الإسلامي والنفع المتعدي.

ووجود العلماء والمعلمين سانحة ثمينة لبدء المشاريع أو استحيائها فتحظىٰ بمباركتهم وتسديدهم وجمع كلمة الناس عليها، وكم من مشروع توقف بعد قيامه أو تأخر بدؤه وفي رمضان مزية تجعل الناس يقبلون علىٰ الخير تأييداً وإتباعًا ودعمًا معنويًا وماديًا.

وإذا حضر العلماء في مكان فخير ما يتدارس ويتلىٰ كتاب الله العزيز المنزل علىٰ محمد ﷺ، وقد درجت تسمية رمضان بشهر القرآن والتلاوة ففي التراويح والقيام قرآن يتلىٰ وفي المساجد والبيوت وكل مكان شريف يحرص المسلمون علىٰ قراءة كتاب ربهم استشفاءً من المرض واستزادة من الإيمان، ولا غرو فرمضان شهر

القرآن فيه نزل وفيه تدارسه الأمينان: محمد وجبريل -عليهما السلام-.وليت كل واحد منا يلتزم بختمة شهرية كأثرٍ مبارك وذكرىٰ حسنة لهذا الموسم الميمون .

وحين يهم المعلم بالرحيل يحرص نبهاء الطلاب علىٰ الالتصاق به حتىٰ لا يفوتهم منه لحظة ليظفروا منه بعلم غزير وفضل كبير خاصة إذا كان المعلم يزداد عطاءه بالتقادم؛ وهكذا هذا الشهر الأجَّل فلا تزيده الأيام إلا روحانية يتفطن لها الموفق ويغفل عنها راغم الأنف. وبعض الناس يجتهد أول الأيام حتىٰ يكاد أن ينقطع، وينقطع آخر الأيام وربما فرط في الفرائض عياذاً بالله مع أن أواخر رمضان خير من أوائله؛ ويكفي الأواخر شرفًا ليلة القدر التي تحتاج إلىٰ استقبال خاص وترقب متقن بلغنا الله قيامها علىٰ الوجه المقبول.

ومقت العلماء شأن البطالين وكره الضيفان عادة البخلاء واجتماع الخصلتين لا يكون إلا من شرار الناس وبغضاء الخلق. وقد بلينا - والبلاء يزداد- بأقوام ينتسبون لديننا ولغتنا وبلاد المسلمين عقدوا عزمهم علىٰ تنغيص الفرحة بهذا الضيف الكريم وتقليل الاستفادة من هذا المعلم الجليل بمهازل ساقطة يجتمع فيها الفحش والكذب والافتراء والتماجن ويكفيك من شر سماعه؛ وليس من وقت ينشط فيه فضاء الإعلام في بلاد المسلمين مثل ما يكون أيام رمضان؛ ليقوم شياطين الإنس مقام إخوانهم من مردة الجن والشياطين، ولو أن أحداً أهان ضيفنا الشخصي أو أزرىٰ بمقام معلمينا لهجرنا هذا المهين

المـزدري، فواعجبـًا مـن مسـلمين يحتفـون بهـذه الأعمـال الهابطـة التـي يزداد سمها في رمضان.

ولا يفـوت التأكيـد علـىٰ أن رمضـان فرصـة لأهلـه ومكرميـه وطلابـه لينفضـوا عـن أنفسـهم غبـار كـل مخـذل ومرجـف وينطلقـوا في أرض الله الواسـعة وفضـاءه الرحـب لتعليـم الخلـق ودعـوة النـاس إلـىٰ الله والـدار الآخـرة؛ ففـي النفـوس إقبـال وفي الأرواح تـآلف وإن كـان النـداء لبـاغي الخيـر لنفسـه مـرة واحـدة فهـو للعـاملين لـدينهم ألـف مـرة؛ فحـيهلاً إلـىٰ ميـدان لـو أحسـنا اسـتغلاله لمـا بقينـا في ذيـل الأمـم علمـًا وحضـارة؛ ولمـا اسـتولىٰ علـىٰ وسـائلنا أسـافلنا؛ ولمـا كـان ديننـا ونبينـا – عليـه الصـلاة والسـلام- وكتـاب ربنـا وأبنائنـا كلئـًا مباحـًا لكفـار لا يخـافون العاقبـة، ولنجعـل مـن رمضـان بدايـة الانطلاقـة الكـبرىٰ لمجـد عـريض وعـزة عظمىٰ فرمضان شهر النصرة علىٰ النفس وعلىٰ الأعداء.

الثلاثاء ٢٦ من شعبان ١٤٢٧

على مائدة الإفطار!

ربما لا تجتمع أغلب الأسر المسلمة في عصرنا هذا على وجبة طعام مثل اجتماعها على مائدة الإفطار في أيام شهر رمضان المبارك، وهذه فضيلة تضاف لفضائل هذا الموسم العظيم المنتظر، الذي بمقدمه يتغير كثير من الناس نحو الأحسن، وتبدو الحياة بمنظر أبهى يختلف عما كانت عليه قبله، وسوف يختلف كذلك عما ستؤول إليه بعده، ولا غرو ففضل هذا الزمان القصير ظاهر جلي.

بل إن هذه المائدة الطيبة تكاد أن تكون الوحيدة التي تجمع أهل البلدة كلهم عليها في وقت واحد، إذ تخلو الطرق أو تكاد، ويحلو الانتظار وهو في بعض الأحيان مرُّ المذاق. وتمتاز مائدة الإفطار بقدر من السكون والخشوع، وبلذاذة لا تعدلها أيّ مائدة أخرى حتى إذا كانت غير متكلّفة، ففيها فرحة الصائم بفطره، وفرحته بموعود مولاه، وأمله في استجابة دعائه، ويزين ذلك كله أنها موضع لحفظ الذكريات مع الأبوين والإخوة والأخوات، وسبب لبقاء عبق الأسرة وترسيخ روابطها.

وعلى مائدة الإفطار ينتظر الجميع صوت الأذان أن يعلو، وهو وإن كان يرتفع فيفطر الصائمون ومن معهم، إلّا أن له أكثر من دلالة؛ فهذه الأمة مرتبطة بشعائر دينها، ومنضبطة بتوجيهات مصادرها

الأصلية، ولا يكاد أن يحركها بانتظام دفعة واحدة، صوب أمر مشترك، وغاية واضحة، سوىٰ هذا الدين وتعاليمه وشعائره وأذكاره، فالموفق من سار خلف سنن هذا الشرع المطهر، وتبع أحكامه القويمة، ففيها المنجىٰ وإليها الملتجأ، وبها تستدفع شرور الدنيا وغوائلها، وبها تتقىٰ النار التي تلظىٰ.

ثمّ إن مائدة الإفطار، وإن اجتمعت عليها صنوف المطعومات والمشروبات، فستظل الرطب والتمور في المرتبة الأولىٰ بتسابق أيدي الصائمين إليها؛ حتىٰ لو وجد الصائم إلىٰ جواره الفراولة والمشمش بألوانها الزاهية، وروائحها الزاكية، ومذاقاتها اللافتة، فهي لا تنافس الرطب والتمر للتنصيص عليهما في السنة الشريفة، وما أحرانا بأن نقتفي أثر سنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في كل شيء. ومثل التمر يفوز الماء واللبن علىٰ أيّ مشروب آخر مهما كانت مغرياته؛ ولئن فتن أقوام بدخان متطاير، أو قهوة سوداء، أو شاي منعنع، إلّا أن الماء واللبن يتربعان علىٰ قائمة مشروبات الصائمين، وبهما وردت السنة الجديرة بالطاعة والتقديم في الشؤون كافة، سواء ما خصّ البطن منها أو ما فوقه وتحته.

وعلىٰ مائدة الإفطار يغتنم الصائمون فرصة الدعوة المجابة، فيصرفونها لأنفسهم ولمن يحبون، ولبلادهم، ولأمتهم، ولمن نكب من المسلمين، ولا يحول بينهم وبين صادق الدعاء ومخلصه شيء مهما بلغ نفوذه أو عظمت سطوته، وإن الرب القدير لمجيب دعوات

الضعفة، ومخمومي القلوب، والعبّاد، والأولياء الصالحين، فهذا موعود حقّ جاءت به الأخبار الثابتة، ولن تخلفه الأمة البتة، وإنما الشأن فيمن يدعو بحضور قلب، ولوعة اضطرار، مع الإيمان بالحكمة الربانية في تعجيل الإجابة أو تأخيرها.

كما أن موائد الإفطار تتجاوز المنازل المغلقة إلىٰ المجالس العامرة، والساحات المفتوحة، والمساجد، والجوامع، والطرق، إذ ينفق الكرماء عليها أموالهم، ويصرف لها الخيرة أوقاتهم وجهودهم، وما أجدرها بحسن الإدارة كي تذهب لمستحقيها، وتنجو من الإسراف والهدر، وحتىٰ يجتمع مع الموائد العامرة الفوائد الخالدة؛ فربما اهتدىٰ ضال، وعرف حائر، ورجع شارد، وكم كان في الإطعام والإغاثة من سبب لخير عاجل أو آجل، ويكفي منه دفع المصائب، ومصارع السوء، والخروج من معرة البخل، ومثلبة غياب النجدة.

ألا ما أكمل مائدة الإفطار، وما أعلىٰ ذكرياتها الحسان العِذاب، فعلىٰ رأسها كان والدي رحمه الله يتمتم بالدعاء والابتهال، ويحثنا علىٰ ذلك بصنيعه المشاهد قبل خطابه الآمر، وكانت والدتي غفر الله لها تديرها بكل حب، وتتباشر وهي توزع صنوف الطعام علينا بعد التمر والماء، وتسأل كل واحد من فلذات كبدها عن أيّ صنف يشتهي، وأيّ نوع يبتغي، فاللهم آجرهما وتقبل منهما أحسن العمل، وارفع لهما الدرجات العالية عندك:

أفلــت شــموس أحبتــي وترحَّلــوا   واستوحشــتْ دارٌ تــئن ومنــزلُ
كــانوا هنــا بــين العيــون ورمشِــها   حلُّــوا ومــن بعــد المُقــام تحولــوا

وقـد يحصـل للـبعض بنـاء علـىٰ فـارق التوقيـت فرصـة في أن يتـابع برنـامج الفقيـه الأديـب الشـيخ المكـي والشـامي علـي الطنطـاوي -رحمـه الله- الـذي يحمـل عنـوان هـذا المقـال "علـىٰ مائـدة الإفطـار"، واسـتمر ضـيفًا علـىٰ شاشـة التلفزيـون السـعودي سـنوات عـددًا، ومـا أحـوج الشاشـات المختلـف حجمهـا وطرائقهـا وأجهزتهـا لمثـل هـذا الشـيخ في علمـه وفقهـه، وفي أدبـه وسـمته، وفي حكمتـه وهدوئـه، وفي جمـال أحدوثتـه وطلاوتهـا، وفي أبعـاده التربويـة والمجتمعيـة، التـي تسـري للنفـوس مثـل نسـمة عليلـة لاتجـد مـدافعًا، ولا مقاومًـا، فيسـتفيد المقبـل الموفـق، ويغـنم الباحـث عـن الصـواب، ويصـمت الشـانئ المـتربص طوعًا أو كرهًا.

الاثنين غرة شهر رمضان المبارك عام ١٤٤٥
١١ من شهر مارس عام ٢٠٢٤

أسرار رمضانية

لرمضان المبارك أسرار، بيد أنها مكشوفة، وهذا هو أصل كل سر رمضاني، فالحمد لله علىٰ فضله وعونه. هذه الأسرار الرمضانية صنعت له مكانة خاصة في نفوس أغلب أهل الإسلام، وخسر هذه المزية قلة من أهل البخس ونقصان الحظ، وهذا سر رمضاني عظيم حين يكشف لنا عن وجود الفطرة أو بقية منها، وحين يجعلنا نخشىٰ من انطماسها لدىٰ أقوام علا الران علىٰ قلوبهم، بعد أن أشربت الفتنة عودًا عودًا، فلم تأبه بحكم شرعي، ولا بمعروف أو منكر.

ومن أسرار شهر رمضان المعظم أنه يربي الإخلاص فينا؛ فمن يمنع نفسه من المفطرات وهو قادر علىٰ الاستخفاء بها، جدير بأن يعمر قلبه وحياته بعبادات خالصة لوجه الرب الكريم سبحانه، وما أكبر قدره من سرٍّ حين تكون نتيجته تحقق أحد شرطي قبول الأعمال وهو الإخلاص، ويتبعه سر آخر، هو أننا نصوم كما صام النبي الأكرم -عليه الصلاة والسلام- ووفاق سنته المنيفة، وبالتالي نفوز بالشرط الثاني للقبول وهو المتابعة، وهذا فضل من رب العالمين.

من أسرار رمضان أيضًا، أننا بعبادة واحدة، نهذب الروح واللسان والجسد، فالصيام لا يقتصر علىٰ الطعام والشراب، وإنما يمتد إلىٰ الجوارح ومكنونات النفس التي تضيق سبلها علىٰ الشيطان الرجيم

وجنده المردة، وهذا سر رمضاني إضافي؛ إذ نشعر بالانتصار علىٰ عدو غرور مضل مبين لطالما خطىٰ بنا نحو ما لا تحمد عقباه، والحمد لله الذي جعلنا نرد كيده في نحره خلال هذا الشهر الروحاني، ونسترد العافية الدينية، والثقة في قدرتنا علىٰ رفض الانصياع لغواياته.

كذلك من الأسرار الرمضانية، اتساع الخاطر والوقت والنفس للناس قريبهم وبعيدهم، فلا ينهر سائل، ولا يكهفر أحد أمام مستطعم، وتبش الوجوه وتهش للقادم بزيارة خاطفة، أو للسلام والتحية، مع الترحيب بالمتواصل بأي وسيلة، وإن القدرة علىٰ استيعاب الناس، ووسعهم ولو بطلاقة المحيا واللسان، والنجاح في التفاعل مع المجتمع، لمنّة يسجد العبد شكرًا للمنعم عليها، وفي رمضان فرصة كبيرة لاكتسابها، والتعود عليها.

كما أن رمضان وعبادة الصوم، تجمع للمرء الصبر بأنواعه الثلاثة، ومرحبًا بالعبادة التي تغرس الصبر في النفوس، وإنه لصبر دافع للعمل، جالب للثبات، وليس سببًا للقعود أو النكوص، ولا مدعاة الكسل كما قد يتوهم المستعجل. وفي ذلكم الصبر يؤدي الصائم عبادة المراغمة، وهي عبادة جليلة، يستعلي بها المسلم والمؤمن علىٰ النفس والهوىٰ ومغريات الحياة الدنيا وتلبيس الشياطين، ويا له من سر رمضاني مهم يجمع الصبر والمصابرة والمراغمة معًا.

ويأتي رمضان بعد انقضاء ثمانية شهور من السنة الهجرية، وعلىٰ مقربة من تمامها؛ فكأنه جاء لغسل أدران ما سلف وكان، والاستعداد

للخاتمة بأحسن ما يمكن، فما ألذ الانتظار بعد حصول اللقيا، وما أجمل الترقب بعد الظفر بالمطلوب، وما أحسن وقع رجاء القبول، والأمل بمضاعفة الأجور، ومحو الخطايا، التي يجدها الصائم في نفسه، وهذه جملة أسرار رمضانية جليلة.

يضاف لهذه الأسرار المتآزرة أن الشهر كلما مضىٰ منه يوم زاد تقاربه من خير لياليه، وإنها ليلة مختلفة منذ مغربها إلىٰ مطلع فجرها، وهي سرٌّ عزيز خفي، قد وقفنا علىٰ جلّ ما يحتف به، دون القدرة علىٰ تعيين وقته بما يقطع الشك أو يزيل الاحتمال، وهذا سر تحفيزي يجده الموفق دافعًا للاجتهاد والتشمير، وما أقلها بعد أن حصرت في ليلة طلقة مشرقة متبلجة ما بين ليال عشر أو حتىٰ خمس!

ثمّ إن رمضان هو شهر القرآن الكريم بأكثر من طريق، وقد نال الموسم من بركات الكتاب العزيز المبارك، وجدّد ارتباط المسلمين به تلاوة وتدبرًا وتردادًا وختمة، وإن آثار بركة الكتاب المجيد لا تخفىٰ خاصة في رمضان إذ تعمر به المساجد والمحاريب والسواري والبيوت والأجهزة. ومن أسرار شهرنا أنه ينتظر مدة طويلة، وحين يغادرنا نرجو تكرار الفوز به مرة أخرىٰ، والمحظوظ من توادع مع الشهر الفاضل بعد أن اقتبس منه شيئًا يستثمره لآخرته الآتية ولا محالة، وإنه لسر رمضاني مؤثر حقًا.

هذا هو شهرنا الأعظم، شهرنا الذي يكسب منه المجتمع كله، شهرنا الذي يؤكد وحدتنا الدينية، وشهرنا الذي يرسخ الثبات علىٰ

الحق قدر المستطاع، وشهرنا الذي يبعث الفطرة من مكامنها ولو انطمرت تحت الركام، وشهرنا الذي به وله نفرح، ومنه يتنغص الأبالسة والأفاكون. ألا ما أقدسه من موسم، وما أكمله، وأحسن أسراره، ما علمنا منها، وما لم نعلمه، فمن الحتمي المقطوع به أنه يحتوي علىٰ أسرار ومنح وفيوض ونفحات، والله يجعلنا ممن ناله منها نصيب وافر متقبل، سواء أشعر بها وأدركها، أم حجبت عنه.

الثلاثاء ٢٦ من شهرِ شعبان عام ١٤٤٦

٢٥ من شهر فبراير عام ٢٠٢٥م





جماليات خطاب القرآن عن رمضان

الحمد لله الذي جعلنا من أمة الإسلام، واختصنا بالقرآن، وعلمنا البيان والعربية، فتلك منن من الرب الجليل تخفىٰ علىٰ البعض، ويا لخسارة أقوام تذوب نفوسهم حسرة، ويتمنىٰ الواحد منهم لو كان فردًا من أمم غربية تعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة غافلون، وفيها إلىٰ النار سائرون إن ماتوا علىٰ الكفر. وما أعظم فقد من لم يكرم بالعربية لسانًا؛ إذ تضيع منه غنيمة تلقي الخطاب الإلهي كما هو، وإنه لخطاب عظيم عظيم.

والحمد لله بكرة وعشيًا أن رضي الإسلام لنا دينًا، وأكمله لنا بلا نقصان، وأتم علينا به النعمة، فليس بعد ذلك إلّا اجتهاد صائب، أو اجتهاد سائغ مأجور عليه صاحبه المجتهد، أو زيغ يقوّم بما يستقيم به الزيغ عادة إن بقوة القلم والقرآن، أو بقوة الحكم والسلطان، وإن دين الله لمحفوظ مصان ولو كان ما كان، والخوف علىٰ العباد وقلوبهم فقط؛ والله يحرسنا بعينه وركنه.

ورد اسم شهر رمضان الأجل في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة البقرة ضمن
آيات هي قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ
أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ
وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ
يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة البقرة].

ففي هذه الآيات الكريمة جمال في الخطاب القرآني عن رمضان، وكلّ القرآن فيه من الجلال والبهاء والجمال ما يحتاج إلىٰ يسير التدبر والتأمل، والله الهادي والموفق. فمن جماليات الخطاب القرآني عن رمضان أن الإخبار عنه ورد مرة واحدة في سورة البقرة أطول سور القرآن الكريم، وهي سنامه ولها من الفضائل المعروفة ما لا يخفىٰ علىٰ من تتبع الأحاديث الصحيحة الواردة فيها، ويكفي أنها حوت آية الكرسي وآخر آيتين بما لهما من خصوصية وأثر، وأنها سورة تبطل السحر وتعجز السحرة.

ومن جماليات الخطاب القرآني الابتداء بالنداء للمؤمنين؛ فأيّ مغبون يناديه الرب العظيم بوصف المؤمن فلا يقف وينصت ويستجيب ويحمد المنعم علىٰ أن شملته هذه الصفة العزيزة؟ وفي هذا النداء تعليم لنا بمناداة الناس بأحسن الأوصاف والكنىٰ والألقاب، وترك التنابز وقبيح القول. وفيه إشارة إلىٰ أن اسم المؤمنين أو المسلمين رابطة جامعة للمؤمنين بهذا الدين الخاتم أينما

كانوا، وعبر العصور؛ فليس لهم اسم آخر يجتمعون عليه، ولا يصح عليهم وصف سواه.

كما كان من الجمال الإخبار عن أن الصيام كتب علىٰ من قبلنا من الأمم، ففيه تخفيف لأن الشيء إذا فعله آخرون فهذا يعني أنه ممكن، وهو درس إداري وإنتاجي للفرد والمجموع؛ فما قوي عليه الناس فنحن نقوىٰ علىٰ مثله وأزيد منه، وفي هذا الخطاب تحفيز بالمنافسة علىٰ الطاعة؛ فليست الأمم قبلنا أحق بالاستجابة والتأله والسمع والطاعة للرب الكريم من أهل الإسلام.

ثمّ وردت في الآيات غايات الصيام، ومنها تحصيل التقوىٰ التي بها يدخل المرء إلىٰ الجنة بفضل من الله وجود، وبتمامه تسنح فرصة لذكر الله وتكبيره علىٰ الهداية والتمام، وأيّ شيء أيسر من الذكر وأعظم؟ وإن رمضان وصيامه سبب لإحداث عبادة عظيمة يغفل عنها جلّ الناس، وهي شكر الله سبحانه وتعالىٰ شكرًا بالقلب واللسان والجوارح، وإن عبادة الشكر لمن العبادات المرتبطة مع آيات الصيام في القرآن الكريم لمن تدبر ونظر. وفي وسط آيات الصيام جاء الحثّ علىٰ الدعاء، والتأكيد علىٰ قرب الله من عباده، وهي إشارة بالغة الدلالة لمن أراد الله به الخير فألهمه الدعاء، وأكرمه بالقبول؛ فيارب يارب.

ويخبرنا القرآن الكريم أن شهر رمضان مجرد أيام معدودة مقدور عليها، وفي هذا تسهيل الأمر وتخفيفه علىٰ النفوس، وهو منهج في العرض الأدعىٰ للقبول والإقدام، والبداية بالقليل ثمّ الديمومة عليه قبل الاستزادة منه، وهو

منهج في التعامل مع النفس العصية على الجدية، الجافلة من الحجم والكم والطول، ولو التزم الناس بهذه الطريقة في أعمال كثيرة لتشامخت المنجزات وكثرت على الصعد الشخصية والمجتمعية؛ فاللهم ارزقنا حسن التأتي، والأناة والتدرج في بلوغ الخير والدعوة إليه.

ومع أنها أيام قليلة؛ إلّا أن العذر متاح لمن لم يقدر على صيامها كلها أو بعضها، وله بعد ذلك عدة خيارات حسب تكييفه الفقهي إما بالقضاء أو التكفير أو بهما معًا، ومن استطاع التغلب على الحال فصام فهو خير له، ومن ذا يأبى الخير أو يدفعه؟ وتؤكد الآيات بعد ذلك على منهج رباني في إرادة اليسر، ونفي الحرج، وفتح الباب الشرعي للرخص، وهو ملمح مهم لمن يصدرون الأوامر، أو يكتبون الأنظمة، فالضبط مهم، لكن الرحمة ورفع الحرج من الحكمة ومهمة كذلك.

هنيئًا لأمة الإسلام بهذا الشهر، وبالقرآن العظيم، وبدينهم الخاتم المهيمن؛ فاللهم الموسم المبارك بلغنا على خير، واستعملنا كما تحب، وعلمنا وفهمنا، وارزقنا بعد الفهم الصائب صالح النية والعمل، واجعلنا على الحق ثابتين، وتقبل منا، واغفر لنا القصور والزلل، وافتح علينا يا فتاح يا كريم، وتقبل منها يا ربنا السميع العليم، اللهم آمين آمين آمين.

الأربعاء ٣٠ من شهرِ شعبان عام ١٤٤٤

٢٢ من شهر مارس عام٢٠٢٣ م

إبليس في مواسمنا وشعائرنا!

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ومن ذريته وأعوانه، وأعيذكم ومن يقرأ ولو بعد حين منهم أبد الدهر. وإنه لضعيف الكيد، مفضوح المكر، وعداوته ظاهرة، والعجب كل العجب من بني آدم كيف يثقون به، ويطيعونه، وقد أخرج أبويهم من الجنة، وحرم نسلهما من متعة العيش فيها خالدين أبدًا. وإذا غابت هذه المعاني عن جلّ بني أبينا الشيخ الكبير آدم عليه السلام؛ فكيف نفهم غيابها عن أهل الإسلام والقرآن والسنة، وهم الذين جاء إليهم الخبر القطعي ثبوتًا ودلالة بعداوته، وكذبه، وبتخليه عمن يطيعه في أحرج وقت، والله يقينا ويعفو عنا.

هذا العدو المبين له مسالك وأعمال ومصائر في مواسمنا، وعند شعائرنا، وهي أحوال معروفة بيد أن التذكير بها مطلب، وجمع جزء من خبره في موضع واحد يجلّي الصورة، حتىٰ نعرف مبلغ العداوة، وكيف نغيظه، وتستبين لنا سبيل المجرمين، وسمات وكلائه من البشر، الذين يتقاطعون معه في الغيظ، والحنق، والمكر، وطرائق العمل، والله يبطل كيدهم، ويردهم علىٰ أعقابهم خائبين، إن لم يكتب لهم الهداية والتوبة في الدنيا، باستثناء كبيرهم المنظَر بناء علىٰ طلبه

إلىٰ ساعة مسماة في يوم أهوال مروعة، يلقىٰ بعدها إلىٰ قعر جهنم.

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال في الحديث المتفق عليه: «**إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينِ**»، وعند النسائي: «**وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ**». والمردة جمع مارد، وهو المتجرد للشر. ومفهوم الحديث يخبرنا أن تأثير الشياطين لا يختفي تمامًا، بل يضعف أثرهم في رمضان، فلا يقدرون فيه علىٰ ما يقدرون عليه في غيره، ولا يخلصون إلىٰ مواضع بلغوها في سواه من أيام وشهور.

وقيل إن مكرهم يذوي مع الصائم الذي يحافظ علىٰ شروط الصيام وآدابه كما نقل معناه الإمام القرطبي، وعليه يُفهم أن المراد أن الشياطين تُغل عن الصائمين المعظمين لصيامهم، والقائمين به علىٰ وجه الكمال، والمحققين لشروطه ولوازمه، والسائرين علىٰ وفاق آدابه وأخلاقه، أما من صام بطنه ولم تصم جوارحه، ولم يهتد بآداب الصيام ويسترشد بمعانيه ويقتبس من حكمه، فليس ذلك بأهل لتصفيد الشياطين عنه، والله يعيذنا من التفريط، ولربما أن هذا من أسباب حرص شياطين الإنس علىٰ إفساد صيام الناس وقطع طريق التعبد الصائب عليهم، لفتح الباب لإخوانهم من الجن، وحرمان بني آدم من فرصة سنوية لمحو الخطايا.

وورد في "فتح الباري" قول فحواه أن المقصود هو تقليل الشرور في رمضان، وأيلولة جملة أسبابها إلىٰ النفوس الخبيثة والعادات

القبيحة. ومما سيق من شروح للحديث أن الشياطين لا تخلص في رمضان لِما كانت تخلص إليه في غيره؛ فتضعف قواها، وتقل وسوستها، لكنها لا تنتهي كلية. ومن مفهوم الحديث أن طائفة من الشياطين تصفد فتبقىٰ طائفة أخرىٰ توسوس لأنها طليقة، وقيل هم صغارهم، وقيل بل كبارهم، وعلىٰ أيّ توجيه لصنف المصفد والطليق؛ فعددهم في رمضان أقل، ونشاطهم في الإغواء والإضلال أضعف.

ومن لطيف الشروح والتخريجات أن الصيام يستلزم الجوع، وبالتالي ينتج عنه ضعف في العروق التي هي مجاري للشيطان داخل أبدان البشر، فتضيق الدروب علىٰ الشياطين، وبناء علىٰ هذا تنحصر مساحات مرورهم في أنحاء الجسم، حتىٰ لكأنهم مسلسلون مصفَّدون، لا يستطيعون حراكًا إلّا بعسر وصعوبة، فلا يبقىٰ للشيطان علىٰ الإنسان سلطان كما في أحوال الشبع والري، وهذا تنبيه يجعل الحصيف يحذر من التخمة وإدامة الشبع؛ للظفر بصحة في جسده، وسلامة في دينه، ولأغلاق المنافذ والثغرات أمام العدو المتربص.

ولربما أن عذابات إبليس وشياطينه بمختلف فئاتهم تتضاعف في شهر رمضان الذي نزل فيه القرآن الكريم، وكان نزوله في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ومن يوفق للعمل حينها بالصالحات فإنه يراكم الأذىٰ والحنق علىٰ الشياطين، الذين يتضايقون من التلاوة

والذكر واجتماع المصلين في رمضان وفي عشره الأواخر وليلة القدر، وتصبيبهم الكآبة من كثرة نزول الملائكة وعلىٰ رأسهم جبريل عليهم السلام جميعًا؛ فتضيق علىٰ إبليس ورفاقه الأرض والأجواء، وكانت من قبل ميادين فسيحة لعبثهم وخطلهم وإجلابهم، وسعيهم للتسلط علىٰ العباد.

أما في موسم الحج الميمون بلغناه الرب القدير وإياكم علىٰ خير وطاعة، ويسّر لنا ولكم موافاة المشاعر المقدسة؛ فقد ثبت أن أشد يوم علىٰ الشيطان هو يوم عرفة، ففي موطأ الإمام أن النبي ﷺ قال: **«مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَىٰ مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللهِ عَنْ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ. قِيلَ: وَمَا رَأَىٰ يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَىٰ جِبْرِيلَ يَزَعُ الْمَلَائِكَةَ»**.

فمن هذا الحديث الشريف نعلم يقينًا أن الشيطان يضمحل ويتصاغر حقيرًا في يوم عرفة، ثاني أعظم أيام السنة، وهو يوم ركن الحج الأكثر أهمية، والسبب أنه يرىٰ تنزل رحمة الرب الرحمن علىٰ العباد، وتجاوز الغفور الودود عن الذنوب والآثام، وهي حسرة تحرق جوف الشيطان وجنده علىٰ خيبة تدبيرهم، واندثار آثار مشروعاتهم، وزوال أثرها في ذلكم الموقف المعمور بالتوبة والتأله والأوبة، وهو موضع قصدته الجموع دون التفات للمشقة، ودفع

المال، وفراق الأوطان والأهل والمصالح؛ وإنها لحسرة أخرىٰ علىٰ نفس الرجيم وآله وأشياعه.

كما أنها حسرة تنخر نفس إبليس علىٰ رحمة الرب الكريم بعباده الذين يعاديهم الشيطان عداء كاملًا لا مجال فيه لشفقة أو رحمة، وهي حسرة إضافية أن نال العباد من مولاهم ما حرم منه الشيطان بكبره وغطرسته، وحسرة عظمىٰ حين يتجلّىٰ الكبير المتعال مشهِدًا ملائكته الذين يعرفهم إبليس علىٰ المغفرة لأهل الجمع المشهود، وتليها حسرة أخرىٰ ترد علىٰ نفس الشيطان وهو يعلم علم اليقين أن نفوس المسلمين في كل مكان تتعرض لنفحات خالقهم بصيام عرفة، والاستعداد ليوم النحر ونهر الدم الحلال، والتوبة من الإله قريبة منهم حينذاك، ومن الحسرة الشيطانية استمرار الطاعات، وتعاقب مواسم الخير؛ حتىٰ لكأنه خانس الدهر كله، ولم ينجح في بعث وسوسة، أو دس شبهة، أو إيقاد شهوة، وربما تضاعفت أحزانه في يوم نزلت فيه آية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

كذلك يطلعنا الحديث النبوي علىٰ أن الشيطان كان أصغر وأحقر في يوم بدر، وهو يوم الفرقان الكبير، وما أثقل الجهاد وبذل الأرواح لله علىٰ الشيطان وحزبه. وما أغيظ انتصار المؤمنين وعلوهم، وما أشد وقع ارتفاع رايات الحق علىٰ الشياطين، فهي أكثر إيلامًا من شفرة الحسام المهند لو مزقت أجسادهم؛ فاللهم زد في حقارتهم، واندحارهم، وضاعف من حزنهم بنصر بلادك وعبادك وأوليائك، حتىٰ يكون الحق ظاهرًا منتصرًا

عاليًا، والشياطين كافة في سفول وأفول، ولهم خمول وذبول عن الكيد والتحزين، وعن الإرجاف والتخذيل.

ثمّ نقرأ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذا نُودِي بالصَّلاةِ، أَدْبرَ الشيْطَانُ ولهُ ضُرَاطٌ حتَّىٰ لاَ يسْمع التَّأْذِينَ، فَإِذا قُضِيَ النِّداءُ أَقْبَل، حتَّىٰ إِذا ثُوِّبَ للصَّلاةِ أَدْبَر، حَتَّىٰ إِذا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبلَ، حَتَّىٰ يخْطِر بَيْنَ المرْءِ ونَفْسِهِ يقُولُ: اذْكُرْ كَذا، واذكُرْ كذا لمَا لَمْ يكن يذْكُرْ منْ قَبْلُ حَتَّىٰ يظَلَّ الرَّجُلُ مَا يدرَي كَمْ صلَّىٰ**»، متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا الحديث الصحيح يطلعنا علىٰ أثر الآذان والإقامة علىٰ الشيطان وجنوده وأوليائه والمخذولين بالمسير خلف رايته المنهزمة.

وهي آثار متفرعة عن نتائج الذكر عليهم، فاللهم ارفع بالمنائر صوت الآذان دومًا، وادم بالمحاريب صوت الإقامة بلا انقطاع، حتىٰ يخنس الشيطان ويخزىٰ، هو وكل من يتوافق مع شعوره، ويتنغص بهذا الصوت الجميل والنداء الخالد. ومن لطيف الفوائد أن التأذين يجلب السكينة والطمأنينة خاصة في الخلوة التي هي مظنة الخوف، وإذا وقع النزاع بين قوم فقد يكون الآذان سببًا للهدوء كما روي ونقلته ممن عاينه بنفسه، وهو سنّة نبوية في أذن المولود ليبتعد عنه الشيطان، ويسمع الوليد كلمة التوحيد في أول مقدمه للدنيا.

وللشيطان الرجيم مع الصلاة شأن لافت؛ إذ يحاول غمس النائم بلذيذ الرقاد كي لا يستيقظ لصلاة الفجر خاصة، ويوهمه بطول الليل حتىٰ لا ينهض ويهجر دفء الفراش ولذيذ الكرىٰ بجوار خريدة أو

بـدون، فـإن أطاعـه فيـا لحسـرة مـن فاتتـه الصـلاة وبـال الشـيطان في أذنيـه. وعنـد الوضـوء يسـعىٰ الشـيطان لإفسـاد الطهـارة بالوسوسـة التـي توقـع المبتلىٰ بها في ضيق وعذاب عافاهم الله منه.

لـيس هـذا فقـط؛ فبعـد الوضـوء يـوهم الشـيطان العبـد بـأن وضـوءه منـتقض بـأكثر مـن طريقـة تـدل علـىٰ أن الشـيطان مسـتعد لأيّ فعـل قبـيح كـي يزعجنـا ويقطعنـا عـن الطاعـات، ومـن سـلم مـن هـذه الحيـل والأحابيـل، فـلا يظـننّ أن الجولـة قـد انتهـت لصـالحه؛ إذ أن الشـيطان لا يكـلّ ولا يمـلّ، ولا يسـتحي فيتراجـع أو يمتنـع؛ ولـذلك يـأتي في الصـلاة ملهيًـا ومشـتتًا ومـذكرًا بالـدنيا وبمـا نسـاه المصـلي مـن شـؤون، ويـذهب بـه في وديـان الحيـاة؛ ليضـيع أجـر الصـلاة عليـه كلـه أو بعضـه، فـلا ينـال ثوابهـا كـاملًا، ولا يعقـل منهـا إلّا القليـل، وإذا كـان هـذا العـدو لا يـترك الإنسـان حتـىٰ في لحظـة النـزع ومفارقـة الحيـاة أو حـين المـيلاد؛ فهـل سيدعه فيمـا بينهما، ويكف عن محاولات خطفه وتخطفه؟!

لـذلك اشـتكىٰ عثمـان بـن أبـي العـاص الثقفـي الصـحابي الجليـل إلـىٰ النبـي ﷺ وقـال: يـا رسـول الله، إن الشـيطان لـبس علـي صـلاتي، فقـال: «**ذاك شـيطان يقـال لـه: خنـزب، فـإذا أحسسـت بـذلك، فتعـوذ بـالله مـن الشـيطان ثلاثًـا، وانفـث عـن يسـارك ثلاثًـا ففعـل فعافـاه الله مـن شـره**»، فـالتعوذ بـالله مـن الشـيطان والصـدق في ذلـك مـن أسـباب السـلامة كمـا يقـول الإمـام ابـن بـاز لمـن سـأله، ويضـيف: ولـو أنـك في الصـلاة إذا أشـغلك تنفـث عـن يسـارك ثـلاث مـرات وتقـول: أعـوذ بـالله مـن الشـيطان

الرجيم، تكررها ثلاثًا؛ فسوف يزول عنك -إن شاء الله-.

هذا شيء من خبر إبليس الذي ورَد ذِكره بالقرآن الكريم في إحدىٰ عشرة آية، وشيء من سلوك الشيطان الذي جاءت الإشارة إليه مفردًا وجمعًا في ثمانٍ وثمانين آية من الكتاب العزيز. ويرجع معنىٰ إبليس علىٰ القول بعربيته إلىٰ الإبلاس وهو الانقطاع من الحق فليس معه حجة، ولمحمود أبو سعدة قول في كتابه الماتع "من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن" خلاصته أن معنىٰ إبليس من الامتناع والتأبي، وهي كلمة جاءت من مزج كلمتي (أبٌ + ليس)؛ فهو نعوذ بالله منه أبو ليس!

ويعود أصل كلمة الشيطان إلىٰ معاني التمرد والابتعاد عن الحق، وربما شاط فاحترق من الغيظ، وأيًا يكن فما أعظم تحذير ربنا لنا بقوله جلّ وعز: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة]. وما أيسر طرد الشيطان وهزيمته، وذلك بالمحافظة علىٰ أذكار طرفي النهار، وعند النوم وبقية الأحوال، ويكفي أن كلمة "بسم الله" تطرده من المكان، وتخيفه ولو كانت معه جيوش من ذريته وقومه؛ فدومًا قل: بسم الله مع أيّ حركة أو فعل وإن كان يسيرًا؛ فإن قول بسم الله سهل ميسور غير مكلف ولا متعب، وبه النجاة والحرز والحفظ، وبسم الله علينا وعليكم جميعًا!

الأربعاء ٠٧ من شهرِ رمضان المبارك عام ١٤٤٤

٢٩ من شهر مارس عام ٢٠٢٣ م

أدعية نبوية خاصة!

دعاء الرب العظيم القدير -سبحانه وتعالىٰ- عبادة عظيمة يحبها خالقنا ورازقنا وولي نعمتنا كلها، ولا تنقص إجابتها من ملك الرحمن شيئًا ولو استجاب للخلق قاطبة. وللدعاء أحكام وآداب وسنن، وله أوقات وأحوال وأمكنة، ولهذه المسائل أبواب ومحاضرات يمكن العودة إليها؛ فما أكرم الرب العظيم – تقدست أسماؤه- الذي يحب الدعاء، بل ويحب من دعاه متضرعًا حتىٰ ألح عليه وكرر ولم يستعجل.

وفي القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة أدعية كثيرة جمعها بعد التتبع غير واحد من العلماء القدامىٰ والمعاصرين في كتب مختصرة يمكن الرجوع إليها لمن شاء الدعاء بجوامع الكلم، مع استحضار القلب حين الدعاء؛ لأن القراءة قد تصبح مظنة التشتت أحيانًا، والله لا يقبل الدعاء من قلبٍ لاهٍ لا يعي صاحبه ما يجري علىٰ لسانه. وفي أدعية الأنبياء القرآنية أسوة، وفي تضرعهم باسم الرب قدوة، وفي الأسماء الحسنىٰ الواقعة في خواتيم الآيات باب من فتوح الدعاء وفيوضه التي ينبغي العناية بها، ولعلي أن أوفق لمقال توضيحي حولها.

ومما ورد في السنة النبوية المطهرة أدعية خصّ بها النبي عليه

الصلاة والسلام المقربين منه بناء علىٰ طلبهم أو سؤالهم، وهي وإن اختلفت في ألفاظها إلّا أن معانيها داخلة في مجموع الأدعية النبوية لعامة الناس، وفوق ذلك فهي معلنة للناس كافة لوجوب البلاغ، فقد كان رسولنا وإمامنا مؤديًا للأمانة، ناصحًا للأمة، وصدق الرب الجليل -عز وجل- حين وصفه بأنه حريص علينا، ورؤوف رحيم بنا، فاللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلىٰ آله وأزواجه وأصحابه إلىٰ قيام الساعة.

فمن تلك الأدعية الصحيحة أنه أجاب زوجه الصديقة وأحب الناس إليه عائشة بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- حينما سألته -ﷺ- عن دعاء تدعو به في ليلة القدر قائلة: يا رَسولَ اللهِ، إنْ وافَقتُ لَيلةَ القَدرِ بِمَ أدعو؟ فقال: «قولي: **اللَّهمَّ إنَّكَ عَفوٌّ تُحِبُّ العَفوَ فاعْفُ عَنِّي**». وفي حديث آخر طويل دون تحديد وقتٍ بعينه، أوصاها النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- قائلًا: «**يا عائشة، عليكِ بجوامع الدعاء: اللَّهمَّ إنِّي أسألكَ من الخيرِ كلِّه عاجلِه وآجلِه، ما علمتُ منه وما لَم أعلم، وأعوذُ بكَ من الشرِّ كلِّه عاجلِه وآجلِه، ما علمتُ منه وما لَم أعلم، اللَّهمَّ إنِّي أسألكَ مِن خيرِ ما سألكَ منه محمدٌ عبدُك ونبيُّك، وأعوذ بك من شرِّ ما عاذ منه عبدُك ونبيُّك، اللَّهمَّ إنِّي أسألكَ الجنَّةَ وما قرَّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النارِ وما قرَّب إليها من قولٍ وعمل، وأسألكَ ما قضيتَ لي من قضاءٍ أن تجعلَ عاقبتَه رشداً**».

أما حين طلبت ابنته والشبيهة به فاطمة -رضي الله عنها- من أبيها

النبي ﷺ خادمًا كي يعينها علىٰ خدمة زوجها وبيتها، أجابها النبي معلمًا لها ولزوجها وابن عمه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقال: «**ألا أدلكما علىٰ خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إِلىٰ فراشكما؛ فسبحا ثلاثًا وثلاثين، وأحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبّرا أربعًا وثلاثين؛ فهو خير لكما من خادمٍ**»؛ فيا معشر الرجال والنساء دونكم هذا القول الفصل، والنصيحة الثمينة، وسوف تجدون تأثير هذا الدعاء الكبير والمعين لكم فيما تستقبلون من عمل، فقد لا يستطيع كل أحد علىٰ الخادم وكلفته، وما أعظم بركة الدعاء والتقديس.

وعن سبطه الحسن بن علي -رضي الله عنه وعن والديه- قال: علمني رسول الله ﷺ أن أقول هؤلاء الكلمات في الوتر: «**اللهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ؛ إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ، وَلَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**»، وهذا الدعاء الجامع لخير الدنيا والآخرة تضج به المحاريب في وترِ صلاة التراويح ليالي شهر رمضان المبارك، وهو خير من الأدعية المصنوعة والمسجوعة.

وروي في صحيح البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ كان يُعوذ الحسن والحسين -رضي الله عنهما- ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامةٍ**»، وعند نزول

المعوذتين أي سورة الفلق وسورة الناس، أخذ بهما النبي - عليه الصلاة والسلام- وترك ما سواهما، وما أحرانا بتعويذ أنفسنا ومن نحب بهما.

كما جاء أبو الفضل العباس بن عبدالمطلب -رضي الله عنه- إلىٰ ابن أخيه النبي الخاتم فقال له: يا رسول الله عَلِّمْني شيئًا أسأله الله تعالىٰ، قال عليه الصلاة والسلام: «**سَلُوا اللهَ العافية**». ومكث العباس عم النبي أيامًا ثم جاء فقال: يا رسول الله علمني شيئًا أسأله الله تعالىٰ، فقال الرسول ﷺ له: «**يا عباس، يا عَم رسول الله، سَلُوا الله العافية في الدنيا والآخرة**»؛ فاللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة.

أيضًا سأل الخليفة الأول ورفيق الهجرة أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- النبيَّ ﷺ أن يعلّمه دعاءً يدعو به في الصلاة، فقال ﷺ له ولأمته من بعده: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»، وكم في هذا الدعاء من افتقار، وطلب للمغفرة والرحمة، وتعبّد لله بالدعاء والابتهال باستعمال بعض الأسماء الحسنىٰ.

كذلك يمكن ضمّ الدعوات التي دعا بها النبي -ﷺ- للصحابة إلىٰ هذا المعنىٰ؛ فمنها عندما نزل ضيفًا عند عبدالله بن بسر -رضي الله عنه- وطعم عنده، وقال له عبد الله بن بسر ادع الله لنا، فقال: «**اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم**». ودعا لابن عمه

عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- حينما قرَّب له وضوءًا فقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»، واقترض من عبد الله بن أبي ربيعة -رضي الله عنه- ثلاثين أو أربعين ألفًا قبيل غزوة حنين، فلما قدم قضاها إياه، ثم قال له النبي -ﷺ-: «**بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الوفاء والحمد**».

اللهم يا ربنا ارزقنا الاهتداء بالوحيين الأقدسين، ووفقنا لاتباع النبي الكريم وهديه وطريقته، ويسر لنا النهل المباشر علىٰ علم وبصيرة من القرآن والسنة، وتقبل منا الدعاء والمناجاة يا مولانا؛ واقذف في قلوبنا رجاءك، واقطع رجاءنا عمن سواك، حتىٰ لا نرجو أحدًا غيرك. اللهم ما ضعفت عنه قوتنا، وقصر عنه عملنا، ولم تنته إليه رغبتنا، ولم تبلغه مسألتنا، ولم يجر علىٰ ألسنتنا مما أعطيت أحدًا من الأولين والآخرين من اليقين فخصنا به يا رب العالمين، آمين.

ليلة السبت ٢٠ من شهرِ ذي الحجة عام ١٤٤٤

٠٨ من شهر يوليو عام ٢٠٢٣ م

رمضان: الفرصة المواتية

يمثل شهر رمضان المبارك فرصة سانحة مواتية بما تعنيه الكلمة، فهو يأتي في موعده المعلوم دون تأخير، ومهما كان تعامل الناس معه فيما مضى. وتزداد بركاته كلما تقدم ولا تنقص، والأعمال فيه عظيمة القدر مضاعفة الأجر، ومواطن إجابة الدعاء في رمضان محددة مؤكدة، وفيه ليلة واحدة لا تزيد عن ساعات معدودة هي خير في عملها ودعائها واستغفارها ومناجاتها من ألف شهر تامة. وفوق ذلك فإن صيامه هو العبادة الوحيدة التي نسبها الله سبحانه لنفسه، وأعدَّ للصائمين بابًا خاصًا من أبواب الجنة الثمانية، جعلنا الله ووالدينا وإياكم ممن يدخل منها أو من أحدها.

فإذا حلّ شهر رمضان في موسمه الثابت المعتاد هش له الناس وسعدوا به على ما كانوا عليه من العمل والتقوى أو حتى التقصير والتفريط إلّا ما يكون من الشيطان والمردة وجنودهم الذين يخنسون فيه، ويظهرون غيظهم منه بصريح العبارة أو فلتات الألسن؛ فيضاعفون شرورهم قبله وبعده كي يطمسوا آثاره الحسنة التي تنغرس في القلوب عامًا إثر عام، والفضل لله والمنة، وهذه فرصة لرفع الوعي كي يكتشف الناس في رمضان من هم أعداء الدين والفطرة والفضيلة، ومن هم أهل النصيحة المبرورة لخير الدنيا والآخرة.

ومع أن شهر رمضان فرصة عظمىٰ لكل مسلم، إلّا أنه يكاد أن يكون فرصة ذات خصوصية إضافية لثلاثة أصناف من البشر، هم المذنب المكثر، والمفرط بالصالحات، والميت في قبره. وهؤلاء الأصناف الثلاثة مع غيرهم لم يسلموا من حسد المفسدين وحنقهم بالصالحات؛ ولذا فأي محاولة لصرف الناس عن اقتناص هذه الفرصة من قبل أهل الفساد هو جريمة مضاعفة بحق أكثر الناس حاجة للموسم من الأحياء والأموات علىٰ حدٍّ سواء.

أما الأموات فما أعظم فرحتهم بهذا الشهر حين ترتج المحاريب وتلهج المنابر وتتواطأ القلوب مع الألسن علىٰ الدعاء لهم بالرحمة والمغفرة، وهو دعاء مستمر بيد أنه في رمضان يكون أكثر، إذ تستدعىٰ ذكريات الراحلين بشدّة، والنفوس نحو خالقها أقرب، والإجابة ساعتئذ أحرىٰ. ومن هذا الباب أيضًا أن تكثر الصدقات وصنائع البر من الأبناء والبنات والأحفاد والأزواج وصالح الجيران والأصدقاء والزملاء لمن سبق من ذويهم ومعارفهم إلىٰ عالم الأموات، ومرحلة البرزخ، فاللهم اغفر لهم وارحمهم وتجاوز عنهم، وسخر لنا ولأمواتنا من يزيد الحسنات، ويرفع الدرجات، ويديم الاستغفار حتىٰ يعجب الآباء والأمهات يوم القيامة من مقدار الحسنات في صحفهم؛ ثم يكتشفون أنها من اجتهاد ولدهم الصالح لهم، ويالها من زكاة للابن والبنت بالصلاح والبر.

ثمّ يوقظ شهر رمضان العبد المقصر في الطاعات كي يستزيد منها

ويغتنم إقبال النفس ومطاوعتها، وهو ميدان فسيح للاستدراك والتصحيح وإكمال النقص وسدّ الخلل، بل فيه أحسن فرصة للانطلاق نحو أعمال مستدامة وإن كانت قليلة مثل ختمة شهرية للقرآن الكريم، وقراءة دورية في الحديث والسيرة، وصيام بعض الأيام، وقيام الليل ولو بركعة، والصدقة وإن بشق تمرة، والمحافظة علىٰ أوراد طرفي الليل والنهار، وغيرها من أبواب الحسنات والطاعات القلبية والبدنية والمالية والذهنية والخلقية والمجتمعية.

كما أن رمضان يعلن بوضوح تام لأهل الذنوب والمعاصي كبيرها وصغيرها -ولا يخلو إنسان من إثم وخطأ- أن الباب مشرع، والدرب سالك، والطريقة واضحة يسيرة، لمن شاء الإقلاع والرجوع مهما تعاظم ذنبه، فالله جلّ في علاه تواب رؤوف يحب العبد التائب المقلع عن المعصية ولو كانت شركًا أكبر، أو جرمًا قبيحًا مثل الربا، أو ذنبًا كبيرًا مثل شرب الخمور و اجتراح الموبقات أو تسهيلها وتزيينها والدعوة إليها، ومناكفة من ينكرها.

ولأجل ذلك روي عن النبي الأكرم ﷺ وهو الرؤوف الرحيم بالمؤمنين في الحديث الصحيح أنه «صعِد النَّبيُّ ﷺ المنبرَ، فقال: آمين، آمين، آمين، فلمَّا نزل سُئل عن ذلك، فقال: **أتاني جبريلُ، فقال: رغِم أنفُ امرئٍ أدرك رمضانَ فلم يُغفرْ له، قُلْ: آمين، فقلتُ: آمين، ورغِم أنفُ امرئٍ ذُكِرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك، قُلْ: آمين، فقلتُ: آمين، ورغِم أنفُ رجلٍ أدرك والدَيْه أو**

أحدَهما فلم يُغفرْ له، قُلْ: آمين، فقلتُ: آمين».

إن شهر رمضان الطيب لفرصة قابلة للظفر بخيراتها والفوز بحسناتها واستبقاء مآثرها في النفس والأسرة والمجتمع؛ فاللهم اجعلنا ممن يدرك رمضان فيغفر له، وممن يكثر الصلاة والسلام علىٰ النبي محمد وعلىٰ آله وصحبه في كل وقت خاصة يوم الجمعة وليلته، وممن أدرك أبويه فكان بارًا بهما في حياتهما، وبارًا بهما بعد رحيلهما، ومستديمًا البر لهما في ذريته وأعماله كي يغدو ممن بر أبويه في محياهما ومحياه، وعقب مماتهما ومماته.

والأمر يسير علىٰ من توكل علىٰ الله القدير بعزم وصدق ومضاء، ثمّ استعاذ من الشياطين المرجفين إنسهم وجنهم، ولم يلتفت لإفكهم وزورهم، أو ينخدع ببهتانهم، فحقيقة الحياة الكبرىٰ تتضح عند لحظات فراقها، وهي من أصدق لحظات الحياة، والسعيد الموفق الحكيم من جعل تلك النهاية القادمة بين ناظريه؛ ليصبح في دنياه العبد المسلم المؤمن المحسن، الذي لا ينس نصيبه من الدنيا مع ابتغاء ما عند الله وتذكر الرجوع الحتمي إليه؛ حتىٰ يأمن العبد في مثواه المنفرد فيه، وعندما يقوم وحيدًا مع الناس لرب العالمين.

الثلاثاء ١٨ من شهرِ رمضان المبارك عام١٤٤٣

١٩ من شهر إبريل عام٢٠٢٢ م

رمضان يتفاءل!

منذ أشرقت الدّنيا بنور الإسلام، تعرّض هذا الدّين الخاتم لصنوف من العدوان والمكر المتعاقب، وتولّىٰ كِبر ذلك ووزره كفّار ومنافقون وفسّاق وأغرار ومستعجلون، ومع ذلك فلن ينطمس أثر الدّيانة إلّا علىٰ أبواب الآخرة حين لا يخطو علىٰ الأرض غير شرار الخلق والعياذ بالله.

ومن عظيم تدبير ربّنا الذي هو كلّ يوم في شأن سبحانه، أن ربط نصرة الملّة وتجديدها مع أصول لا تزول، فحفظ لنا القرآن والسّنّة، وأبقىٰ الشّعائر وجعل تعظيمها من تقوىٰ القلوب، فالآذان والصّلاة تميزنا وتجدّد العلاقة بالله، والحج يجمعنا من الفجاج ليؤكد وحدتنا، والزّكاة تنعش معاني الإخوة وتبعث الرّوح في الشّبكات الاجتماعية، وللصّيام ورمضان خبر وأيّ خبر.

فما إن يقترب رمضان حتىٰ تهبّ الجموع لتحري هلاله المحبوب بالعين والمناظير، أو تحسب له المراكز حسابه، وبعيدًا عن الجدل الفقهي؛ تشعل هذه الأُهبة جذوة الإيمان في نفوس العباد، لأنّها تعني أنّ النّاس ينتظرون هلالًا يستلزم ظهوره امتناعهم طوعًا عمّا فُطروا علىٰ حبّه إرضاء لمولاهم، وإنّ أمّة تتوخىٰ مرضاة معبودها سبحانه في ترك مرغوباتها لأمّة لا تزال حيّة، والأمل في يقظتها لم ولن يموت

مهما تناءت عن الأصل في سائر أيّامها.

وإلىٰ هذا السّياق المتفائل تنصرف جميع الاستعدادات الحلال لاستقبال رمضان الميمون سواء كانت في جانب تعبدي، أو معيشي، أو أسري، أو تجاري، أو مجتمعي، فلا ينشط لهذه الأعمال إلّا أقوام عندهم للموسم وقع مختلف، وله مكانة خاصّة بينهم، ولم تأت هذه المنزلة من الحواشي والكلاليب الخاطفة عن معانيه وفضائله، بل أتت مقترنة مع تعظيم رمضان وتقدير قيمته الباسقة، وهذا يجعلنا نتفاءل بمستقبل آتٍ بخير عميم وإن تثاقلت خطاه، وزاد عثاره، وكثرت حواجزه.

كما يمنحنا رمضان الفأل الكبير بأنّ جلّ النّاس مهما ابتعدوا عن تعاليم دينهم وأوامر شريعتهم، فهم إليها سيرجعون، وعودتهم ليست مستحيلة بل نعاينها عامًا بعد عام في المساجد والمحافل والتّسابق إلىٰ الخيرات؛ فليس حقًا وصم المجتمعات بالهلكة، والنّظر إلىٰ الأحوال بمنظار متشائم حتىٰ لو كانت صور الواقع كالحة، فيا عباد الله تفاءلوا واعملوا!

وينشر رمضان الفأل الحسن بإقبال الغالبية علىٰ كتاب ربّهم، وإنّه لمن الهجران والجفاء وسوء الصّنيع أن يكون هذا الكتاب العزيز المهيمن بين أيدينا ثمّ لا نقارع به ظلمات الباطل ونصرع شبهاته، بينما هو معجزة نبينا عليه السّلام الخالدة، والسّبب الأكيد لانقشاع ظلمة الكفر عن قلوب خير القرون وعقولهم، وما أوثق الصّلة بين القرآن ورمضان، وما أمضاه من سلاح بأيدينا لو نجحنا في ردم الفجوة بينه وبين المسلمين، فما أيسره وأعظم آثار تدبّره والعيش مع إشراقاته.

ومن خفي الفأل الرّمضاني إقصاء النّفاق؛ فلا مكان لاستعلاء نفاق في ديار المسلمين، ولذلك يحترز المنافق كي لا يظهِر فطره، وينكفئ الخبيث على نفسه متجرّعًا الغصص حذرًا من ردّة فعل العامّة التّلقائيّة لو أبدى استهانته بهذه الشّعيرة المعظمّة.

كما يشمل رمضان بفأله الحسن بلاد المسلمين ومجتمعاتهم، إذ يقضي على التّشرذم فتؤدي الأمّة المحمّديّة كلّها عبادة واحدة، بطريقة متقاربة، في ذات الزّمن وإن تقدّم بعضهم أو تأخر، وإنّ هذا التّوافق ليزيح عن نفوس أفراد أمّتنا ماران على القلوب من خلاف، وما أفسده نكد الدّنيا ومنغصّات الأهواء بين إخوة المعتقد، وأصحاب المصير المشترك، والمصالح المتقاطعة.

إنّ شهرًا يُستقبل بالفأل، ويمضي بفأل إثر فأل، وينتهي على فأل بالقبول ومغفرة الذّنوب والخطايا، وتجديد الصّلة بخالقنا وشريعته، لشهر جدير بالاحتفاء والإجلال، وحقيق بأن نشيع فيه ثقافة الفأل داخل أنفسنا، وفي أوساطنا، ومجتمعاتنا، وبلادنا، وبين أبناء أمّتنا المنتشرين في أصقاع المعمورة، والحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنّا لنهتدي لولا فضله ورزقه وإحسانه.

ليلة السّبت ٢٩ من شهرِ شعبان عام ١٤٤٠

٠٤ من شهر مايو عام ٢٠١٩م

رمضان: موسمُ العزَّةِ وشهرُ التربية

ما أنْ يُعلن دخولُ شهرِ رمضانَ الأغرِ حتىٰ يملأَ النَّفسَ شعورٌ جديدٌ ومشاعرُ فيَّاضةٌ قدْ يعجزُ القلمُ المبينُ عن وصفها؛ فكأنَّ الروحَ تسبحُ في ملكوتِ الله مستبشرةً بقدوم موسمِ النفحاتِ الربَّانيةِ وشهرِ المكرماتِ الإلهية؛ وكأنَّ الجسمَ قدْ استبدلَ جلدَه وجوارحَه وقلبَه بأُخرَ نقيةٍ لمْ تقارفْ ذنبًا أوْ تواقعْ معصيةً فهي بريئةٌ من العيبِ والدنس. هذا هو استقبالُ عامةِ المسلمينَ لضيفهم الكبيرِ الكريمِ الذي يجيءُ في معيته وفدٌ طاهرٌ من الجلالِ والبهاءِ والأنسِ والأنوارِ وشتىٰ العباداتِ والقُرَبِ ويخلِّفُ المردةَ مصفدِّين ممنوعين من التأثير؛ فياله من شهرٍ كثير البركاتِ والخيرات.

ورمضانُ المباركُ شهرُ صمودٍ وتحدٍّ؛ وشهرُ ثباتٍ وتصدٍّ لا علىٰ طريقةِ القوميين العربِ الفاشلةِ بلْ بمنهجٍ إسلاميٍّ رشيدٍ مسدَّد؛ فهذا الشهرُ يُعلنُ للمنافقين جهاراً فشلَ كثيرٍ من مخططاتهم الإجراميةِ التي بذلوا لها النَّفسَ والنَّفيسَ؛ فهاهيَ جموعُ المسلمين الغفيرةُ تُقبلُ علىٰ عبادةِ امتناعٍ وتركٍ سرّيةٍ لا يعلمُها إلا الله؛ وهاهيَ النفوسُ تؤوبُ لربها وتثوبُ لرشدها متراجعةً خطواتٍ عمَّا أقدمتْ عليه من أخطاء، وهاهيَ زُرافاتُ الصائمين تتسابقُ للخيراتِ تعبُّداً وتألُّهاً وخشيةً ومحبةً ورجاءَ الأجرِ والغفران. ويجتمعُ الفرقاءُ علىٰ عبادةٍ يبغضها

شياطينُ الإنسِ والجنِّ وهي العفوُ والتسامحُ وإزالةُ أسبابِ القطيعةِ والتشاحن؛ فكم لهذا الشهرِ الكريمِ من آثارٍ تربويةٍ على الأفرادِ والجموعِ وليس هذا بمستغربٍ على موسمٍ جليلٍ أراد الله منه "تقوى" العبادِ وبراءةَ النّفوسِ من أوزارِ الحياةِ وطهارتِها من أوضارِ الهوى.

كما أنَّ رمضانَ يُعيدُ للمسلمين شيئًا من عِزَّتِهم بتاريخهم وهويتهم الإسلامية؛ فهو شهرٌ هجريٌّ قمريٌّ يخسأُ عنه سبتمبرُ وأيلول؛ وهو موسمٌ يعيشُه الخلفُ كما عاشَه السلفُ رضوانُ الله عليهم؛ وهو زمنُ المعاركِ الحاسمةِ والفتوحاتِ الخالدةِ فيما مضى؛ وشهرُ مراغمةٍ للعدو المحتلِّ وتنكيلٍ بجنوده في البلدانِ المسلمةِ المحتلَّة. وفي رمضانْ من معاني الوحدةِ والمشاعرِ المشتركةِ ما لا يخفى وإنْ تفاوتتْ أيامُ ثُبوتِه من بلدٍ لآخر، كما أنَّ فيه إبرازٌ للمظاهرِ الشرعيةِ في البلادِ التي غيَّرتْ الحضارةُ الغربيةُ من وجهِها الصبيحِ ليعودَ للمدنِ والشوارعِ الطابعُ الإسلامي المميز الذي يسعى المفسدون لطمسه حتى في رمضان كما حدثَ في الأردن لولا فضلُ الله ثمَّ هبَّةُ الأغيار.

ويفضحُ الشهرُ الكريمُ أعداءَ الأمةِ بأوضحِ بيان؛ وما البرامجُ الهابطِة وخيامُ الفجورِ إلاَّ خطأ متجددٌ لا يترفعُ عنه الأدعياءُ كلَّ عام؛ إضافةً إلى إثارةِ قضايا غيرِ مهمةٍ كمسألةِ توحيدِ دخولِ شهرِ رمضان مع أنَّهم لا يهتمون بفكرةَ الوحدةِ الإسلاميةِ، ويغضونَ الطرفَ عن

قضايا خطيرةٍ من الشركِ والكفرِ والبدعِ؛ ولو أنَّ غيرتَهم صادقةٌ لكانَت برامجهم برامج حقٍّ ورشدٍ لا غيٍّ وضلالٍ فيها، ولست أعمم فأقول: إلاَّ مَنْ خافَ مقامَ ربِّه ونهىٰ النَّفسَ عن الهوىٰ.

وصومُ رمضانَ ليسَ امتناعًا عن الأكلِ والشربِ والجماعِ ساعاتٍ محددةً فقطْ؛ بلْ هو صومُ الفرجِ والبطنِ واللسانِ والأذنِ عنْ كلِّ ما حرَّمَ الله ليلاً ونهاراً وعنْ بعضَ ما أحلَّه الله طيلةَ النهارِ. وبعضُ النَّاسِ يتخذُ من الصومِ حجةً للكسلِ وسبباً للساقطِ المرذولِ من الأقوالِ وشفيعًا لثورةِ الغضبِ وسوءِ الأخلاق؛ وهذا منْ التناقضِ البغيض؛ فشهرُنا موسمُ الانتصاراتِ الكُبرىٰ والتاريخُ سجلٌّ منشور؛ ورمضانُ فرصةٌ لكسرِ الحدَّةِ وإصلاحِ النَّفسِ وتقويمها فكيفَ نجعلُ منه ذريعةً للانفعال والخصامِ وقبيحِ الفعال؟

ورمضانُ كالطبيبِ لعللِ النَّفوسِ وأمراضها الحسيةِ والمعنوية؛ فكمْ منْ علَّةٍ شفاؤُها بتقليلِ الطعامِ والشراب؛ وكمْ منْ مريضٍ وسمينٍ يرومُ الصحةَ "والرشاقةَ" وفي رمضانَ بُرؤه فما للبطنةِ والبشمِ أفضلُ من حجزِ المعدةِ عن التلذذِ بكلِّ مطعومٍ ومشروب . ورمضانُ يُطِبُّ البخلَ بالجودِ والكرمِ إذ هو زمنُ البذلِ والإحسانِ وشعورُ الأغنياءِ والمترفين بجوعِ الفقراءِ والمعوزين؛ وكمْ منْ مبتلىً بلسانٍ لا يقرُّ في محلِّه ولا يسكنُ وفي الصومِ قطعٌ لشهوةِ الكلامِ الباطلِ والثرثرةِ الممقوتة حتىٰ أنَّ بعضَ العلماءِ عدَّ الغيبةَ من مبطلاتِ الصيام. وفي الشبابِ مدخنونَ لا يفارقونَ السيجارَ وآخرونَ مفتونونَ بالغناءِ

الماجنِ والفنونِ الرخيصةِ فيجيءُ الشهرُ المباركُ ليبعدَهم عمَّا تعودوه وألزموا أنفسَهم به وليقولَ لهم برفقٍ وإقناع: ها قدْ هجرتم اللذاتِ المحرَّمةَ نصفَ يومٍ فما أيسرَ نصفَه الآخرَ عليكم لو توكلتم علىٰ الله وعزمتم علىٰ خطوةِ الخيرِ الأولىٰ.

وتسوءُ كلَّ عاقلٍ المخازي التي يرتكبُها بعضُ الشبابِ في حقِّ نفسه وتجاهَ هذا الضيفِ والموسمِ المنُتظرِ وما يفعلُه بعضُ الأغرارِ من استباقِ رمضان بالولوغِ في المحرماتِ وتقَّحمِ الموبقاتِ علىٰ أملِ الفوزِ بالمغفرةِ الرمضانية؛ وما علمَ هؤلاءِ أنَّ الموتَ قد ينزلُ فجأةً فيحرمَهم من إدراكِ الموسم؛ أوْ قدْ يدركوه وهم محرومون من صيامِهِ بعجزِ جسدٍ أو امتناعِ قلبٍ والعياذُ بالله؛ ولو صاموه فمَنْ يضمنُ لهم القبولُ؟ ثمَّ هلْ يعلمونَ أنَّ الكبيرةَ لا تُغتفرُ إلا بتوبةٍ صادقة ؟ ألا ما أضرَّ الجهلَ وما أشنعَ الغرور. ومن البلاء أنَّ بعضَ الذين اتخذوا اللهوَ الحرامَ مطيةً يحزنونَ بما تفرحُ له الأغلبيةُ المتلهفةُ شوقًا ويطربونَ لما يبكي منه العُبَّادُ إثرَ توديعِ رمضان .

وهذه الأيامُ المباركةُ والليالي الفاضلةُ موسمٌ رابحٌ لمن أرادَ ذكرَ الله وشكرَه وتعظيمَه والثناءَ عليه؛ وموسمٌ مضمونُ الربحِ لمن رغبَ الاتجارَ معَ الله في الآخرة؛ وموضعُ قبولِ الدعوات والتضرعاتِ وما أكثرَ ما نرجوه وننشده في الآخرةِ والدنيا علىٰ صعيد الفردِ والأمة؛ وهو موسمُ الآثارِ الباقيةِ والدعواتِ الناجحةِ والاحتسابِ النافذِ والخيرِ الذي لا يزولُ وإنْ ذهبتْ أيامُه العظام؛ وجديرٌ بكلِّ مسلمٍ أنْ

يشــمرَ عــن ســاعدِ الجـدِّ الـذي لا يعـرفُ الكلالـةَ عسـىٰ أنْ نكـونَ فيـه مـن الفائزين.

الاثنين ٢١ من شهر شعبان عام١٤٢٨





رمضان: بوابةُ التحسينِ والتغيير

مِنْ فضلِ اللهِ علىٰ عبادِهِ أنْ جعلَ لهم مواسمَ يحيونَ فيها بطريقةٍ مختلفةٍ عمَّا اعتادوه؛ ففي تغييرِ النِّظامِ الحياتي فوائدُ كثيرةٌ علىٰ الفردِ والمجتمع، وما شهرُ رمضانَ الأجلِّ إلَاَّ مثالٌ صريحٌ علىٰ هذهِ الهباتِ الرَّبانية؛ حيثُ تعتدلُ طبائعُ النَّاسِ وعاداتُهم ويرتقي السلوكُ البشريُ وتزولُ الضغائنُ ويتقاربُ البعداءُ وتزيدُ حركةُ الإحسانِ وينشطُ أهلُ الخيرِ في أعمالِ البرِ علىٰ كلِّ صعيد.

ومَعْ ما لهذا الشهرِ الكريمِ مِنْ آثارٍ حميدةٍ إلاَّ أنَّ النُّفوسَ البشريةَ بدأتْ تضعفُ في الاستجابةِ لنداءِ الإصلاحِ والتعرضِ لنفحاتِ البركةِ الرمضانية؛ وهذا أمرٌ غيرُ مستغربٍ لجريانِه ضمنَ الضعفِ العامِّ للواحدِ والجماعةِ إضافةً إلىٰ سطوةِ الإعلامِ المرئي وأثرِهِ علىٰ خلخلةِ القيمِ وإعادةِ ترتيبِ الأولوياتِ حسبما يراها مُلاكها والقائمون عليها.

لقدْ كانَ الإعلامُ الرمضانيُ قبلَ عشرينَ عامًا محافظًا- معْ ما فيهِ من مخازي- إذا قسناهُ إلىٰ أيامنا هذه؛ ولا ندري كيفَ سيكونُ وجهُ الإعلامِ الرمضاني في السنواتِ القادمةِ إنْ لمْ يتداركنا اللهُ برحمتِه مِنْ خلالِ إستراتيجياتٍ محكمةٍ نرسمُها لمواجهةِ هذا البلاءِ والظفرِ بالنَّصيبِ الأكبرِ مِنْ سوقِ الإعلامِ الرمضاني.

وإنَّ توجهَ بعضِ قنواتِ الإعلامِ النَّقي للترفيهِ في رمضانَ ومجاراةِ القنواتِ الأخرىٰ قدْ يزيدُ مِنْ المشكلةِ ولا يساعدُ في حلِّها، حيثُ يرسخُ لدىٰ النَّاشئةِ أنَّ رمضانَ شهرٌ للموادِ الإعلاميةِ الترفيهيةِ هابطةً كانتْ أمْ غيرَ هادفة، كما أنَّ الاعتمادَ علىٰ الحكوماتِ كالخطِّ علىٰ الماءِ لا ينفعُ إلاَّ لإبراءِ الذِّمة؛ ولذا فلا بدَّ مِنْ منافسةٍ إعلاميةٍ مهنيةٍ هادفةٍ في شهرِ رمضانَ علىٰ وجهِ الخصوصِ لإقبالِ القلوب واستعدادها؛ إذ أنَّ الارتقاءَ بالوعي ونشرِ أدواتهِ في المجتمعِ أولُّ طرقِ التغييرِ المنهجي.

إنَّ رمضانَ شهرُ عطاءٍ وإقبالٍ وبذلٍ وأوبةٍ؛ إنَّه شهرُ القرآنِ والصدقاتِ والصفاءِ والصدق، وقمينٌ بنا تعزيزُ هذهِ المظاهرِ الرمضانيةِ الإيجابيةِ في المجتمعِ مِنْ خلالِ المسجدِ والحلْقةِ والمنزلِ واجتماعاتِ العائلةِ والجيرانِ وزملاءِ العمل، وحريٌ بحَمَلةِ الهمِّ توسيعُ نطاقِ الدَّعوةِ والتوجيهِ لتشملَ كافةَ مؤسساتِ المجتمعِ بواسطةِ وسائلِ الإعلامِ ومواقعِ الانترنت حتىٰ يعمَّ نفعُها فئامٌ كثيرٌ مِنْ الأمَّةِ المحمَّديةِ التي يتوقُ شُبَّانُها وشابَّاتُها لنُصرَةِ دينِهم وكتابِ ربِّهم وسنَّةِ نبيهم- عليه الصلاةُ والسلام- عِلمًا وعملاً ودعوة.

فما أجملَ أنْ يكونَ شهرُ رمضانَ موسمُ استقطابٍ وتحسينٍ وتغييرٍ للأفضلِ وبثٍّ للروحِ الإيجابيةِ في ناشئةِ العربِ والمسلمينَ ورجالِهم ونسائِهم؛ حتىٰ يعلمَ كلُّ واحدٍ منهم أنَّهُ علىٰ ثغرٍ في عملهِ القلبي والظاهرِ وفي سلوكهِ ولباسهِ وحديثهِ وفي واجبهِ تجاهَ مجتمعهِ

الصغيرِ والكبير، وحينها سترتفعُ عن أمتنا الذلةُ وتؤولُ المسكنةُ إلىٰ أهلِها ونكونُ خيرَ أمَّةٍ أُخرجتْ للنَّاس.

وفي هذا السياقِ المباركِ يسعىٰ مركزُ حلول للاستشاراتِ والتدريبِ لإنتاجِ برنامجٍ مرئيٍ بعنوان "رمضان غيرني"؛ ويشرفُ علىٰ هذا العملِ الإبداعي فضيلةُ الشيخِ الدكتور عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الله الأحمد، وسوفَ يُبثُ عبرَ بعضِ القنواتِ الفضائيةِ النَّقيةِ إضافةً إلىٰ موقعِ المركزِ علىٰ الشبكةِ العنكبوتية، وهوَ برنامجٌ جديدٌ في فكرتهِ جادٌ في طرحهِ؛ ونسألُ اللهَ لهُ النجاحَ والتأثيرَ الميمونَ وللقائمينَ عليهِ والمشاركينَ فيهِ التوفيقَ والأجر.

الخميس ٢٧ من شهرِ شعبان عام ١٤٢٩

رمضان: حكومة العام!

يقف شهر رمضان الميمون بين إخوانه شهور السنة، وكأنه حكومة صالحة لهم، اختاروه لمزاياه المتفق عليها، فهو راشد في ذاته، ورشيد في تصرفاته، وموفق في نتائجه، وعظيم في ثماره، حتىٰ عمّت بركته ما قبله وما بعده، ولذلك سبقه شهران لهما قدرهما وإن غفل الناس عن الثاني منهما خلافًا لشهر رجب المرعية حرمته، ثمّ لحقته شهور الحج المتداخلة مع الأشهر الحرم المتتابعة؛ فصار موكبه مكونًا من ستّة يحرسونه بين يديه ومن خلفه، والحمد لله أن جعل شهرنا التاسع هو الأعظم المنتظر، وأودع فيه جمّ الفضائل.

ويقوم رمضان مقام الحكومة الناصحة في شؤون كثيرة، فهو شهر تعليم وتربية وتأديب، وشهر تكافل اجتماعي وتعاون بين فئات كثيرة، وبه تنتفع الصحة العامة بضبط المطعم والمشرب، ولا يخلو من تقوية النفس، ورفع مستوىٰ الاعتزاز بالذات والهوية باسمه وهلاله وأيامه. وخلاله يرتبط الناس بكتاب ربّهم وبعلوم دينهم، وهي المصادر الأساسية لفهم الحقوق والواجبات التي لو التزم بها جلّ الناس لاختفت أكثر الإشكالات، ولمشت الخلائق علىٰ الأرض دونما رقيب، وفي ذلك توحيد لمصدرية التلقي، وهي صفة الحكومة بالنسبة لشعبها في الشؤون التنظيمية.

وفيه نفحات تصيّر الأرواح متسامية متآلفة بعيدة عن الخصام، وهذا من غايات الحكومات؛ فالأمن والسكون والتصالح مطلب أساسي. ومن إجراءات رمضان الأمنية مع إطلالته البهية، تصفيد المردة وإبطال كيد الشياطين، والتصفيد لمن يستحق من صلب مهمات الحكومات الموفقة لما فيه من ردع وضبط. ويرتبط بالأمن العفو عن الزلات والاجتهادات لمن تاب وأصلح من المخطئين، وهكذا تفعل الحكومات مع أبنائها؛ فتجعل من رمضان سببًا للمّ شملٍ تشعثّ من طول الغياب، ويا لها من سانحة جديرة بأن تبتدر.

أما شؤون المال فظاهرة في رمضان دون خفاء، فأسواقه رائجة في المآكل والمشارب والملابس والهدايا والأثاث، ولربما انتظرته متاجر من بين سائر الشهور، وفيه موازنات يعرف الأتقياء بها مقدار ما يجب عليهم من الزكاة، وما تجود به نفوسهم هبة أو صدقة، وما أجود أقوام يطعمون الطعام علىٰ حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، وهم أركان الضعف في المجتمع، وقبل ختامه يسعىٰ جماهير الناس إلىٰ دفع زكاة الفطر لتصبح بيوت الفقراء ذات طعام إبان موسم العيد وأفراحه، وهل الاقتصاد والمال إلّا أحد أركان العمل الحكومي التي لا مناص من رعايتها حقّ الرعاية!

كذلك ينفرد شهر رمضان بحتميّة ترائي الهلال في أوله وآخره، وإن كان الترائي لطرفي الشهر متكررًا في ذي الحجة، بيد أن آخره ليس

في مقدار ضرورة أوله خلافًا لرمضان، وفي هذا الصنيع ترصد وترقب ثمّ إعلان، وهو فعل استشرافي من شأن الحكومات عند أيّ ظاهرة، ودوننا جائحة كرونا التي أشغلت الدول والناس في المتابعة والمعالجة، والله يعجل برفعها علىٰ خير ومسرة وعافية.

وفي رمضان حوافز تشجيعية مثل طريقة الحكومات عندما تريد تنشيط شيء، أو دفع الناس لأمر، أو حجزهم عن آخر، فمضاعفة الحسنات، وكثرة الغفران، وقبول الدعوات في أوقات وأحوال معينة، والعتق من النيران، ووجود العشر الأواخر وليلة القدر، وانتهاء رمضان بليلة صباحها عيد فطر سعيد، إضافة إلىٰ الذكريات الرمضانية التاريخية العبقة وعلىٰ رأسها نزول القرآن الكريم، كلّها تجعل هذا الموسم هو الأنسب للحوافز، وأما روادعه فمنها خشية المشفقين من فوات بركاته، وفرقهم من تعظيم السيئات، وحذرهم من رغم الأنوف بتضييعه، وإنّ باغي الخير ليقبل، ومريد الشر ليقصر، وذلكم مكسب نفيس.

كما يشبه رمضان الحكومة بأنه لجميع الناس وإن اختلفت أعمارهم، واهتماماتهم، وجنسهم، ومستوياتهم العلمية والمالية، ويماثلها بوجود المؤيدين المستبشرين به، والمتفاعلين معه إيجابيًا، الفرحين بقدومه، الوجلين من رحيله، وبالمقابل فلا مناص من أقوام امتعضوا منه، وشرٌّ من هذا الفريق أشقياء شرقوا به وعارضوه، فحاولوا تدنيس قداسته، وتفريق شمل فضائله، وإلهاء الناس دونه،

وصرف التائبين عن بابه، وحرمان الكافة من نفحاته وإلهاماته، ثمّ يسوق أولئك الغششة كَدَرهم القبيح علىٰ أنه تفاعل مع رمضان، ولو صدقوا لما ناقضوا برنامجه الأساسي في استجلاب التقوىٰ للقلوب، وتعظيم شعائر الله، وكم في دعاوىٰ المصلحة والإصلاح من خداع ومآرب خفيّة!

أيضًا يبرز في رمضان منهج رشيد تسعىٰ لمثله حكومات تبادل أناسها الثقة والمسؤولية، فالصيّام عبادة سريّة خالصة، والأطر العامة له واضحة، والمطلوب مشتهر، والممنوع بيّن، وما عداه فاجتهاد يختلف فيه وليس حوله أو بسببه الناس، سواء في أصناف العبادات والقربات، أو بطرق الفطور والسحور، أو بنوع المناشط التربوية، أو البرامج الأسرية، والإعلامية، والرياضية، إضافة إلىٰ اغتنام الدقائق مع القرآن وصلاة التراويح، وتقسيم ساعات اليوم والليلة، وتحديد مواعيد الوجبات ومكوناتها، فإذا أصبنا الهدف المشروع، بعمل مشروع، خلال وقت مشروع، فتلك هي الغاية التي تجعل الحكومة مبتهجة بثمارها، مسرورة بالأداء كمًا وكيفًا وزمنًا وتكلفة وأثرًا.

فأهلًا وسهلًا ومرحبًا بشهر رمضان المبارك، الشهر الأجلّ، والموسم العظيم، بأيامه المعدودات، ولياليه العطرات، وما فيه من بركات وإنجازات علىٰ صعيد النفس الواحدة فما فوقها، ويالها من منجزات تستمر مع بعض المحظوظين سنواتٍ وربما أكثر، فرمضان

حكومـة العـام وضـابطه ومصـلحه، ومـن اهتبـل فرصـة الحيـاة، ونعمـة الهدايـة، وتـوافر القـدرة، وهبـة الصـحة؛ فقـد يعـيش مـن فيـئ رمضـان ونـوره وشـذاه وبصـائره فيمـا بقـي لـه مـن عمـر مهمـا امتـدّ؛ فـاللهم استعملنا فيما تحب، ولا تجعلنا من المفرطين.

ليلة الاثنين ٣٠ من شهرِ شعبان عام ١٤٤٢
١٢ من شهر أبريل عام ٢٠٢١ م





إذا انتصف رمضان!

لكل شيء في الدنيا بداية وانتصاف ونهاية. الابتداء لا يُغفل عنه في الغالب، ولا يُفرط فيه؛ بسبب الانتظار وضرورة الاستقبال، فنحن أمة ضيافة. والانتهاء لا ينسىٰ ولا يغيب؛ لارتباطه بالختام والوداع، فنحن أمة وفاء. يبقىٰ وقت المنتصف الذي قد يُهمل بسبب الفتور وقصر النظر، فيصير مثل نجم وقع بين شمس وقمر، فليس له نور معتبر، ولا ضياء مستثمر، مع أن الانتصاف نتيجة للابتداء، وطريق حتمي نحو الانتهاء.

وها هو شهر رمضان الأغر المبارك يتجه لبلوغ نصفه، بعد مضاء النصف الأول، وإقبال نصفه الثاني، وهذه فرصة للتأمل وحث النفس اللجوج، وحضها فهي ملول، وحفزها حتىٰ لا تقف أو تنكص علىٰ أعقابها. ولأجل ذلك فمن الحسن أن نستذكر بأن هذا النصف بوابة للعشر الأواخر بما فيها من ليلة واحدة تزيد في فضلها وأجرها علىٰ ألف شهر بلا حدٍّ معروف لمدىٰ هذه الزيادة، ويالها من ليلة مهمة، وموقعها الزماني في النصف الثاني.

وفي ليالي العشر تزيد التلاوة والانقطاع للتقرب والتأله، والاستكثار من العبادات، ويوفق الله بعض عباده للاعتكاف، وهو عبادة لم تهجرها الأمة منذ عصر النبوة إلىٰ يومنا. وفي هذه الليالي يزداد العتق من النيران خاصة في آخر ليلة من الشهر الكريم؛ فأي

سانحة لنا كي نضرع للمولىٰ الرحيم بأن يخلصنا وأصولنا وفروعنا وأزواجنا وأقاربنا وجيراننا وأصدقائنا وزملائنا ومن له علينا فضل وعامة المسلمين من شرور نار تلظىٰ.

كما أن النصف الثاني من رمضان يحمل لنا في طياته ذكريات أيام النصر والفرقان والفتح وصدّ العدوان، مثل يوم بدر، وفتح مكة، وعين جالوت، ومعركة وادي لكة لفتح الأندلس، وغيرها من المعارك القديمة والحديثة، علمًا أن شهر رمضان وثيق الصلة بالفتوح، والانتصارات، وكذلك بالتذكير بمآسي العدوان علىٰ المسلمين من قبل أمم الكفر والضلالة في حروب ومجازر لا يطويها الزمان وتعاقب الأيام، وهو شهر الثبات والصبر والرباط، وشهر الشهادة، وما أعظم أجرها المضاعف في رمضان.

ويفتح منتصف رمضان الباب واسعًا لاستقبال موسم العيد، وما يلتصق به من زكاة الفطر، وما يكون في العيد من فرح واجتماع، ولذلك تنشط حركة التجارة والبيع والشراء في النصف الثاني منه، والله يجعل النفقة فيه كله مخلوفة متقبلة، والتجارة رابحة رائجة، ويرفع الحاجة والعوز عن عباده في كل مكان، خاصة عن الفقراء والمساكين، وعن الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، وهم لا يسألون الناس إلحافًا.

خلاصة القول:

إذا انتصف رمضان فهذا يعني قرب النهاية، وتسارع الأيام للانقضاء، وكم يجدر بنا أن نستدرك مافات، بالاجتهاد والمصابرة.

وإذا انتصف شهر رمضان المبارك فماذا يحسن بالموفق الحصيف أن يفعل؟ إن باب البر والخير واكتساب الحسنات مفتوح بلا حدّ، ومنه:

حمد الله أن بلغناه، وقوانا على الصيام والطاعات، فعبادة الحمد قد ننساها مع عظمتها.

كسب أجر النية بالإحسان ومضاعفة العمل.

أقبل النصف الأهم؛ فهل نستدرك التقصير في أخيه المنصرم؟ وهل نهتبل فرصه الكثيرة، وأجلها فرصتان هما: ليلة القدر ومافيها من دعاء وسؤال الله العفو والعافية، وآخر ليلة من رمضان التي يكثر فيها العتق من النيران.

إن شهر رمضان كله فرصة سانحة لعباد الله بحثًا عن النجاة والاستزادة، وكم فيه من يسر لمن رام طرق باب الأجور المضاعفة فيه، وهذا من عظيم كرم الرب الغفور الرحيم الرؤوف، الذي يعطي بلا انقطاع، ويهب دون استحقاق، ويزيد ويضاعف، فالمتاجرة مع الله الرحمن الرحيم الحي القيوم –سبحانة– مضمونة الربح، أكيدة الظفر، وتعالىٰ الله الذي يحب العبد المقبل التائب، ويفرح به، فاللهم بارك لنا في النصف الثاني من رمضان، ووفقنا فيه للمزيد الذي تحبه، ويكون سببًا لنيل حبك وولايتك.

الجمعة ١٤ من شهرِ رمضان المبارك عام ١٤٤٦

١٤ من شهر مارس عام ٢٠٢٥م

سلطان رمضان!

لشهر رمضان المبارك سلطان لا يُقاوم، والحمد لله أن صبغ مواسمنا الشرعية بما يجعلها كذلك كي تصمد أمام الزيغ والإفك ومكر الليل والنهار. ومن فضل الله في رمضان أن ارتبط بنزول القرآن الكريم، وصار صيامه من شريعة خاتم المرسلين، وأحد أركان الإسلام العظام، وإنه لطاعة فريدة في الأداء والدلالة.

وفي رمضان تنبعث النفحات والرحمات؛ فتغدو الأرض كأنها غير الأرض، وتصير النفوس كأنما جاءت من الجنّة لا تحمل ضغينة ولا غلًا ولا خوفًا ولا حزنًا، وفيه أثر على العلوم الشرعية واللغوية، وتاريخ من التعبد والجهاد والمصابرة والرباط، وفيه من النصر المعنوي لعباد الله ما يخزي الدجاجلة صغيرهم وكبيرهم، ويدحض بهتانهم الذي نشروه، وباطلهم الذي شيدوه.

فمن مظاهر السلطة الرمضانية القوية أنه آتٍ لا محالة، ومهما فعلت أقوى القوى؛ ولذلك فإن الأمة تنتظر كل سنة هلال الشهر الهجري التاسع المؤذن بدخول الموسم الميمون. ومن مظاهرها ما يقع في وجدان الناس ونفوسهم نحو هذا الشهر الكريم، وإنه لشأن مستقر في القلب لا يزول ولا يحول. ومن مظاهر القوة أن العباد يصومونه على مختلف الأحوال، ويهجرون فيه قائمة الشهوات من تلقاء أنفسهم بلا رقيب.

كما أن رمضان يأتي فارضًا مفاهيمه وأحكامه، فللضرورات ضوابط لا تجعلها مُرسلة مع الأهواء وجهل الجاهلين، وليس الذكر كالأنثىٰ، والعبرة بالرؤية القمرية والتقويم الهجري، وباب التوبة مفتوح، ومجال الاستزادة ممكن، ويا باغي الخير أقبل؛ وتلك سلطة رمضانية تجعل الحسرة حالة مستقرة في قلوب شياطين ومردة من الثقلين الطليق منهم والمصفد، وهذا التصفيد بالأغلال من علامات قوة رمضان وسلطته.

وفي رمضان قوة جذب باهرة؛ فالشارد الآبد يؤوب بمجرد قربه والإعلان عن دخوله، فتمتلئ المساجد، وتُفتح المصاحف، وتطيب النفوس، وتُهجر المآثم؛ فنهار رمضان يزيد الأرواح سموًا بترك الشهوات، وليله يزيد الأرواح تحليقًا ببركة القرآن والصلاة، وأما المقتصد والسابق فلهما مع رمضان حال يراكم القوة للأمة وأفرادها؛ فمتىٰ زاد الإيمان، وحرص العباد علىٰ رضا الرحمن، فثّم النجاء والنصر والتمكين.

ومن سلطة رمضان قهر حب المال؛ فيزيد الإنفاق والإطعام، ويحرص المقتدرون علىٰ إسعاد غيرهم، وفيه الصلة والتواصل، والعفو والتسامح، وفيه مظهر من مظاهر الوحدة والتآلف وهي أحد أسباب القوة إذ أن الفرقة شر، وما أحرانا بتقدير ما يجمعنا تقديرًا يستحقه.

ثمّ يكمل رمضان سلطته بليلة القدر التي يحتشد لها جمهرة من

الناس تربو علىٰ أيّ مناسبة سنوية، وحين يغادرنا يفتح الباب للعيد السعيد بجوائزه ومعانيه البهيجة؛ فاللهم بلغنا رمضان، واجعلنا ممن أدرك معانيه الباسقة، وممن وفق فيه وبعده لما يحب ربنا ويرضيه.

الخميس ١٠ من شهرِ شعبان عام ١٤٤٤

٠٢ من شهر مارس عام ٢٠٢٣ م





نور من بدر!

كتب الله لأمّتنا ألّا تنكسر مهما غاصت في وحل الضّعف أو غرقت في ردغة الآثام، ولم يعاقبها بالتّيه فجعل القرآن العزيز كتابًا خالدًا تتدبره وتعمل به، وسخّر عدول عباده لتدوين السّنّة المشرّفة كي تقبس الأجيال منها الصّواب والرّشاد، وأكرم آخرين برواية السّير والمغازي لتغدو منهلًا مأمونًا تستوهب الأمّة منه ماء الحياة والعزّة.

ومن أحداث السّيرة التي لا تُنسىٰ، معركة بدر الكبرىٰ، يوم الفرقان المبين، الواقع في اليوم السّابع عشر من شهر رمضان المبارك من السّنة الثّانية للهجرة، في موضع بدر القريب من المدينة النّبويّة، ومع غزارة ما في هذه الواقعة من عبر، إلّا أنّي سأقف مع بعضها تفاديًا للإطالة، علىٰ أمل أن يكمل القرّاء الباقي، والباقي كثير.

فأصل خروج المسلمين كان للاستيلاء علىٰ قافلة تجاريّة قرشيّة، يعوضّون بها أموالهم التي نهبتها قريش أو احتجزتها، ولذلك لم يصدر أمر بالنّفير، ولم يُؤاخذ من تخلّف؛ لأنّ الاستدعاء فقط لمن كان علىٰ أهبة الاستعداد فلا وقت للانتظار، وشاء الله سبحانه وأراد غير ما اجتهد المسلمون لنيله، فكانت العاقبة نصرًا معنويًا وماديًا في جوانب عسكريّة وسياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وتعليميّة ودعويّة، وما أعظم إرادة الله لنا، وما أحرانا بالتّسليم إذا اجتهدنا ثمّ صرفتنا أقدار الله عمّا

سعينا له، فالخيرة تخفىٰ، والله يعلم السّر وأخفىٰ.

كما كانت جميع المقاييس الماديّة ضدّ المسلمين في يوم بدر؛ فهم الأقلّ عددًا وعتادًا، والمعركة أقرب لأرضهم، وغالب محيطهم يخالفهم أو لا يحالفهم، وهي أوّل تجربة للقتال، لكنّهم بذلوا كلّ سبب، وعمروا قلوبهم بالصّدق والإيمان مع التّوكل، فشاركتهم الملائكة، وصار يومهم يوم الفرقان، ونالوا فضلًا ونصرًا وسابقة، وأيّ غنيمة أكبر من نظر الله إليهم، وغفرانه لهم؟

ومع ثقة النّبي وأصحابه بموعود الله، فقد أجادوا التّحضير العسكري للمنازلة، بداية من اختيار الموضع الأفضل بالنّسبة لأماكن الماء والشّمس ورؤية العدو، إضافة إلىٰ إرسال العيون وتقصّي الأخبار، ثمّ تقدير عدد الأعداء من خلال طعامهم اليومي، وانتهاء بترتيب الجيش علىٰ هيئة صفوف تشبه صفوف الصّلاة وتخالف عادة العرب في معاركهم، وفيها دروس حرب واستخبارات واستشراف لمن وعىٰ، ولم تصرفهم هذه الجوانب الواقعيّة عن نشدان المثال الأسنىٰ بالصّلاة والدّعاء والالتجاء إلىٰ الله؛ فكان المدد جمعًا من الملائكة علىٰ رأسهم جبريل عليهم الصّلاة والسّلام.

وحين أقبلت قريش، ورأىٰ عتبة بن ربيعة جيش المدينة وما في سيماهم من عزيمة علىٰ النّصر أو الشّهادة، خشي أن يتعاظم القتل فتكثر الثّارات داخل قريش انتقامًا للآباء والإخوان والقرابة، فنادىٰ في قومه أن يرجعوا وينسبوا العودة إليه، وهو ذات مطلب أبي سفيان بعد

نجاة قافلته، لكنّ غطرسة القوّة، وطغيان الباطل، وجنون العظمة، حالت دون قبول أبي جهل الذي أراد قرع الطّبول وسماع الغناء والاستمتاع برقص القيان، فآل مراده إلىٰ أعظم حسرة له ولصناديد قومه لحظة سحبت جثثهم إلىٰ قليب يسمعون نداء النّبي الذي كذبوه ولا يقدرون علىٰ جوابه، ولو أطاعوا عتبة صاحب الجمل الأحمر لما خابوا كما أخبر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وما أنفس الرّجل الرّشيد ساعة الأزمات.

وبخلاف عنجهيّة زعماء قريش، فتح النّبي الكريم باب المشاورة لأصحابه، وسألهم مستطلعًا آراءهم خصوصًا من الأنصار، فسمع منهم ورأىٰ ما يسعده نبيًا ويرضيه قائدًا، وبادله القوم التّقدير والتّوقير، فبنوا له عريشًا محكم الحماية، مرتفعًا للاستطلاع، وأطاعوا أمره ولم يختلفوا عليه، وما أحوج الأمّة إلىٰ تلاحم قواعدها مع قادتها، وآكد ما يحقّق ذلك وحدة الهدف ووضوحه، وصدق جميع الأطراف في ابتغاء المصلحة الشّرعيّة العليا.

وبعد عودة جيش المدينة ظافرًا عقب بدر، استمر المسلمون في مراكمة القوّة كمًا وكيفًا، وكسبوا موضع النّدية بسرعة فائقة، ولم يبطرهم هذا النّصر أو يركنوا إلىٰ لذيذ ذكراه تاركين الاستزادة والإعداد، وبالمقابل نجم النّفاق الذي تخنسه القوّة، وغدت المواجهات القادمة، ومحاولات الاختراق، وعقد الأحلاف أكثر حتميّة، وهو ما نجم عنه أحداث جسام في أحد والخندق، بيد أنّ

العاقبة للمؤمنين، وتلك الأرض يورثها الله من يشاء من عباده، كما فتح مكة لعبده الطّريد منها، وأغنمه خيبر خير مال لأخبث الأعادي، وأخاف به الرّوم ساعة العسرة، وأخرج إليه الوفود مسلمة أو مستسلمة، فالفتح والفرج من أمر الله وفي سابق علمه لمن أخلص وآمن وأحسن.

الأربعاء ١٧ من شهرِ رمضان المبارك عام ١٤٤٠
٢٢ من شهر مايو عام ٢٠١٩ م





لفتات رمضانية

سبحان ربنا الذي وهب لرمضان جمال القدوم، وكمال المكوث، وجلال الوداع، وعاطر الذكرىٰ، وصادق الاشتياق، ومنحه من البركة في ذاته وآثاره ونفحاته ولفتاته وتأملاته وتاريخه، ما جعله موسمًا محببًا، وموردًا لا يكاد أن تغيض فوائده، ولذلك لا يخيب من قصده بشيء. ولأن من شأني القديم الحديث كثرة الكتابة عن رمضان، فإني أشهد له عن تجربة بهذه الخصيصة ذات الثراء الدفاق، فما ظننت أن قد بقي شيء للكتابة حوله، بيد أن المعاني عنه تتوارد بلا انقطاع.

فمن لفتات هذا الشهر العظيم أنه في الترتيب تاسع الشهور، ويتلوه مباشرة يوم عيد الأعياد بالفطر السعيد ويوم الجوائز والفوز، ويشبه بذلك حمل الجنين ومدته ومآله البهيج؛ فلكأن النفس تحمل من أثقال العام وهمومه وربما آثامه، فيأتي هذا الموسم ليمسحها بفيوضه وقداسته، حتىٰ تغدو نتيجة المجتهد المحسن عيدًا وفرحًا. ويرتبط بهذه المسألة أنه شهر يعزز الانتماء إلىٰ التأريخ الهجري والتقويم القمري، فلو اجتمع علماء التقاويم قاطبة لما استطاعوا إيجاد حلّ لاستقبال رمضان دون الاعتماد علىٰ تقويمنا الشامخ.

ومنها أنه موسم ينتظره الناس كافة بجميع فئاتهم علىٰ اختلاف نوع الانتظار وسببه وثمرته وطريقته، فحتىٰ الأطفال يحسبون حسابه

لما فيه من مباهج وما يعقبه من مسرات. وللتجار فيه أسواق رائجة في المطعم والملبس والعطور والهدايا وشؤون المطبخ وغيرها. كما تتسابق الأجهزة الإعلامية لاستثماره فمنهم محسن سابق بالخيرات، ومنهم مقتصد، وفيهم ظالم لنفسه مبين، وحتىٰ للسياسة معه تداخل واستثمار. وأما معاشر المذنبين -وكلنا ذياك الإنسان- فهو وقتهم للتوبة والإنابة. وهنيئًا للعابد فيه الحسنىٰ وزيادة، وللحافظ الضبط والمراجعة، ولهاجر القرآن النهل منه، ولربما أن الأموات في القبور ينتظرون في رمضان المزيد من دعاء الأبناء والمصلين في المساجد والمحاريب، إضافة إلىٰ ثواب الصدقة وأعمال البر. ويبنىٰ علىٰ هذه لالتفاتة أن رمضان يغرس فينا فضيلة الانتظار والتأني والاستعداد والترقب والتخطيط وطول النفس والسلامة من الاستعجال.

كما أن شهر رمضان المبارك يعطي لأهله درسًا في الجدية والمصابرة والمضاء علىٰ الأمر الرشيد، فمن شرع في الصيام يستمر فيه ولا يقطعه إلّا بعذر شرعي مقبول وله ما بعده من قضاء وتكفير، وتلك من أكبر سبل غرس المسؤولية والانضباط في النفوس، فلا هزل ولا تراخ أو تماوت وتفويت واجب وقت أو زمان أو حال، ولا بحث عن خطوط رجعة بلا موجب يرفع الحرج، ولو أن هذه البذرة نمت في نفوس أمة محمد عليه الصلاة والسلام لما تأخرت وتقهقرت وعلا عليها الآخرون.

وفي رمضان تتجلىٰ درجة رفيعة من درجات العزة والحرية؛ حينما

يقطع المرء نفسه بنفسه دون رقيب من شهواته كافة، وهي شهوات مرتبطة بأجزاء جسدية ذات لجج وإلحاح علىٰ المرء، ويا له من انتصار يهب للإنسان المسلم قيمة مضاعفة، ويعتقه من أكثر من رق كما قال شيخ العربية محمود محمد شاكر في مقالة جميلة له برأ فيها معنىٰ الصيام من أن يكون قاصرًا علىٰ أشياء لا تتفق مع طبيعة الصيام العامة السامية، وهي العبادة التي يسميها أبو فهر عبادة الأحرار ويصفها بأنها مدرسة لتحرير الإنسان من كل نقيصة.

كذلك يلفت رمضان النظر إلىٰ أهمية التوازن فالحياة ليست خيارًا واحدًا بين المنع التام أو الرتع الدائم ولا مناص من الالتصاق بأحدهما، فثمت أحوال متوسطة تأخذ من كل طرف أحسنه. ومن لفتاته أن الأوضاع لا تبقىٰ علىٰ نمط واحد مهما اجتهد الناس أو تظافرت القوىٰ، ولذا تتغير في رمضان مفاهيم أوقات وطبائع ومناسبات وأطعمة وغير ذلك، وتلك لفتة نفيسة تؤكد لنا أن التغير سنة ثابتة مستمرة.

وهذه التغيرات إيجابية في مجملها، تثبت بقاء الفطرة، ونقاء أصل الإيمان في النفوس، وفشل مشروعات الإفساد بجميع مستوياتها؛ فإن ديننا وأمتنا قد تعرضا لكيد لو استحضر لكان من العجب العجاب بقاء الدين والأمة والمساجد والآذان والعربية والقرآن والسنة. والحمد لله المتكفل بإظهار دينه وإتمام نوره ولو كره الكافرون والمنافقون، وإن مجيء رمضان الدوري مما يعزز هذه الحقيقة،

ويزيدها تفاعل المجتمعات والناس مع وافدهم الحبيب.

ولا يخلو شهر رمضان من لفتات قرآنية لكثرة قراءة القرآن الكريم والاستماع له، وفيه لفتات تربوية بالتئام الأسرة واجتماعها، ولفتات مجتمعية من خلال الأنشطة المجتمعية، ولفتات تاريخية بالنظر إلىٰ سجل رمضان عبر التاريخ، ولفتات أدبية من أقوال البلغاء والشعراء، ولفتات لغوية عبر كلمات ألبسها رمضان من المعاني مالم يكن مطروقًا، أو قصر معناها علىٰ ما يتصل برمضان فقط، وفيه لفتة إلىٰ مركزية المسجد في المجتمع المسلم، فإليه يهرع الصائمون حتىٰ لو كانت علاقتهم به قبل رمضان وبعده مبتورة أو غير متوالية.

إن شهرنا التاسع لشهر غزير الفوائد الظاهرة والخفية، المادية والمعنوية، الحالية والمستقبلية، ولو نطق لقال بصوت جهير وبيان واضح: إن التحسين ممكن، والخلاص من المشين ممكن، والرجوع إلىٰ الصواب غير عسير، والثبات علىٰ المنهج ليس بمستحيل. وإن العوامل التي تحوم حولنا تكاد أن تتظافر لتشهد علىٰ خيرية هذه الأمة، وكمال هذا الدين، وخلود الرسالة المحمدية التي جاء بها خير البشر، بعد أن حمل إليه خير الملائكة الكتاب العزيز المجيد المهيمن، في الليلة المباركة من الشهر الأجلّ.

السبت غرة شهرِ رمضان المبارك عام ١٤٤٣

٠٢ من شهر إبريل عام ٢٠٢٢ م

رمضان شهر مقاومة!

الحديث عن المقاومة ليس كثيراً علىٰ أمة ينتهك أعاديها مقدساتها، ويعبثون بأركان ثقافتها، ويقتطعون أطرافها، ويحتلون ديارها، وينهبون خيراتها، ثم يولون علىٰ رقاب كثير من أهلها - غالبًا- أخسَّ أبنائها؛ الذين يسيمون الأمة مزيداً من الذلة والهوان؛ كي تظل حبيسة حبال غليظة، ورهينة قيود ثقيلة، بل ومغلولة اليد إلىٰ العنق؛ فلا تقوىٰ حتىٰ علىٰ الصراخ!

وحين نقول بأن القراءة فعل مقاومة، والكتابة ممارسة مقاومة؛ والتفكير سلوك مقاومة، فلسنا نخرج هذه الأعمال من سياقها الثقافي والفكري، ولا ننزع عنها المتعة واللذاذة، بيد أننا نستكشف جوانب العزة فيها، ونستلهم ما قد يكون تصرفًا يفوق المدىٰ المنظور إلىٰ آفاق أرحب، ولذا كانت القراءة، والكتابة، والتفكير، أعمالاً بغيضة عند طغاة الأرض، وكم استضافت معتقلاتهم من أربابها؛ وعند الله الملتقىٰ.

ومن البديهي أننا لا نقصد بالمقاومة أي عمل محرم، أو غير مشروع، أو بلا مصلحة. وإنما معناها المراد هنا هو طيف المقاومة الواسع؛ فكل عمل إيجابي يمثل لبنة في بناء المقاومة، وربما يكون المرء في بيته أكثر مقاومة ممن يجول في الميادين؛ وبالتالي فنحن

نتلمس المقاومة في كل موسم، وفكرة، وعمل، وقول، ونراها من الصغير والكبير، وعند العصاة والأبرار والمقربين؛ لأنها واجب الوقت، ولازم الحال، وضرورة لا مناص منها للتغيير الإيجابي.

وعندما يقترب شهر رمضان المبارك، يبتهج عامة المسلمين له، ويستعدون لحلوله بما يرونه مهمًا أو معتاداً، ولا بأس بالحلال المباح ألبتة. ويجتهد آخرون لبيان فضائله وأحكامه، ويحبس العبَّاد أنفسهم في خلوات التعبد والاعتكاف، وحتىٰ أهل الفساد اهتبلوه لترويج محظوراتهم التي توجب عليهم العقوبة؛ لو كان لشرع الله حكم نافذ في بلاده، والله المستعان.

وفي رمضان من زوايا المقاومة الكثير الكثير؛ بل إن الشهر في ذاته يحمل سمات المقاومة، وما أشد وقعه علىٰ المرجفين والمنافقين الذين لم يغفلوا عن هذه الصفات في الموسم الميمون، فنازلوه منازلة العدو، وما أموالهم وجهودهم المسخرة لإفكهم وبهتانهم، إلا خير شاهد علىٰ ترسخ هذا المفهوم لديهم؛ وإن لم ينطقوا به.

فحين يأتي رمضان يوحِّد أمة محمد ﷺ علىٰ الصيام والقرآن، وفي اختلاف دخوله تبعًا لمطالع الهلال، توسيع لدائرة الاجتهاد والتعاذر بين أبناء الأمة، وكم حاول الأعادي تمزيق جسد هذه الأمة حتىٰ جعلوها أشلاء متناحرة، وشعوبًا متنافرة؛ ليأتي رمضان فيجمعهم علىٰ فعل، ونبل، وسمو نفس، وصفاء روح؛ وأعظِم بالاجتماع من مقاومة!

وينغمس المسلمون تبعًا للعالم في كانون ويناير، ولم يعد للتقويم الهجري مكان في التعاملات الرسمية والشعبية إلا ما ندر، بيد أن فرحة المستغربين لا تكتمل بوجود شهر كرمضان، فالسؤال عن الهلالين، وتحري وقتي الغروب وطلوع الفجر، وتسمية رمضان باسمه العربي الإسلامي، يصيب التبعية بمقتل، ويعزز ارتباط الأمة بهجرة نبيها، وتاريخها الإسلامي، وتقويمها العربي، وعسىٰ أن يأتي زمان يكون التأريخ والتوقيت متوافقين مع أحكام شريعة ربنا عز وجل.

ورمضان يجمع أهل البلد الواحد علىٰ خير، فالفقير يستفيد من زكاة الغني وجوده، والجاهل يقبس من فهم العالم وحكمته، والعمل الخيري والاجتماعي ينشط بانشراح الصدور وإقبال الناس، وحتىٰ أهل البيت الواحد، وأبناء الجد البعيد، يجدون فسحة من الوقت ليلتئموا حول مائدة، أو في حديث حميم، وإن هذا التماسك والتآزر مما يعزز فينا وصف البنيان المرصوص الذي لا يخترق، ولا يتهدم.

وتصوم المرأة مع الرجل سواء بسواء؛ لها ما له، وعليها ما عليه، بيد أنه يصيبها ما اختصها الله به من حمل ورضاع ومحيض، فيكون لها أحكامها الخاصة؛ التي تراعي أحوالها، وتنشد مصلحتها ومصلحة وليدها، وبالتالي تسقط كل شبه المرجفين، سود الوجوه أتباع اتفاقية السيداو وغيرها من مبتكرات "الرجل" الأبيض الفاجر وأذنابه، لتنأىٰ المسلمة بنفسها ومجتمعها من غوائل كيدهم، ويتيقن

الأغـرار مـنهن خاصـة أن ديـن الله يعلـو ولا يعلـىٰ عليـه، فيسـتقر في روع الفتاة أنها متعبدة في كل شيء لمن صامت له.

ولا تسـل عـن علاقـة عامـة النـاس بالربـانيين مـن العلمـاء في رمضـان، فـدينهم يأخذونـه عـن العلمـاء بـه؛ ولـيس عـن منـافق علـيم اللسـان، أو مـن أعجمـــي -أو أعجميـــة- الفـــؤاد واللســـان. واســـتمع لصـــوت دويهـــم بـالقرآن قـراءة وتـرتيلاً، ولاحـظ الازدحـام في المسـاجد، والتوافـد علـىٰ الحـرمين، والربـاط في المسـجد الأقصـىٰ وأكنافـه، وسـتعلم يقينـًا بـأن شـهر رمضـان شـهر مقاومـة إسـلامية شـعبية شـاملة، ومـا أحرانـا باستشـعار ذلـك في نوايـا العمـل الرمضـاني الصـالح؛ لنغـيظ العـدو القريـب أو البعيـد التغريبي، والمتربص، والمعتدي.

وفي تـاريخ رمضـان مـن ذكريـات المقاومـة العبقـة مـا يفجـع دهاقنـة النفـاق والكفـر، فيـوم الفرقـان ومعركـة بـدر الكـبرىٰ كانـت في منتصـفه تقريبـًا، وفـتح مكـة خلالـه، وكثيـر مـن المعـارك الخالـدة وقعـت فيـه كالقادسـية، وفـتح الأنـدلس، والزلاقـة، وحطـين، وعـين جـالوت، ولازالـت الأمـة صـائمة عـن مثـل هـذه المـآثر، وعسـىٰ أن يكـون يـوم فطرها وعيدها قريبًا.

ويشـترك مـع رمضـان غيـره مـن المواسـم وشـعائر الهـدىٰ، فـالحج مـؤتمر للمقاومـة كبيـر، والحجـاب شـعار مقاومـة أقـض مضـاجع الـديمقراطيات الكـافرة، والزكـاة فعـل مقاومـة بالمـال ينفـي الفقـر والعـوز، والصـدقات والأوقـاف ميـدان رحـب للمقاومـة تحمـي مشـاريع

الخير من العثار، وهكذا لو استطردنا، فكل موسم أو عمل يسلِمنا لما بعده؛ وفيه من روح المقاومة ما فيه.

وكم نحن بحاجة لمن يأخذ بيد هذه الأمة؛ بأي طريقة مناسبة يحسنها؛ كي يحيي فيها أحكام الدين الإسلامي تمثلاً واعتزازاً، ويستنهض همتها لخدمة أمة أحمد عليه الصلاة والسلام، فلا أرذل من حياة ليس فيها شيئًا من المعنىٰ الحقيقي للحياة، وإن ديدن المؤمن والمسلم أن يسأل ربه، ويلح بالسؤال؛ لتكون صلاته ونسكه ومحياه ومماته خالصة لله رب العالمين.

الثلاثاء ٢٧ من شهرِ شعبان عام ١٤٣٨
٢٣ من شهر مايو عام ٢٠١٧م

رمضان يدُكّ حصون التَّغريب

أهلاً بك يا رمضان فقد اشتدَّ إليك شوقنا، ننتظرك بعد عام من فراقك وقد اختلفت بعدك أشياء كثيرة، كنَّا فيما مضىٰ نتشَّوف لك للاستزادة من الخير وتربية النَّفس المؤمنة المطمئنَّة، ونحن اليوم نتلقاك لأجل البناء ولأجل الهدم أيضا؛ لتبن فينا يا رمضان ما نرومه من خير وفضيلة، ولتهدم ماشاده المبطلون من مباني الفساد وصوره في مجتمعنا ونفوسنا، فاللهم بارك لنا في شهرنا أفراداً ومجتمعات وحكومات، واجعله جسراً للعابرين بخير؛ وسدًّا في وجه دعاة الشَّر.

ويدخل رمضان بعد رؤية هلاله أو إكمال عدَّة شعبان، ويعلن الحاكم دخول الشَّهر بناءً علىٰ قول العلماء والقضاة، وفي هذا الإجراء المعتاد سنويًا مراغمة لأولياء الشَّيطان الذين يريدون قطع العلائق بين العالم والحاكم، وتحويلها إلىٰ قضية فلكية لحساب دخول الشُّهور؛ مع أنَّهم بعيدون عن إتباع مرضاة الله في وسائلهم؛ وحانقون علىٰ التَّقويم الهجري، وحرصهم علىٰ إثارة هذه المسألة لمكاسب حجاجية فقط، وقد أغاظهم أن يكون هلال رمضان سبباً في تأكيد وجوب رجوع الحاكم إلىٰ العلم وأهله، فحيَّهلاً بهلال نغَّص علىٰ أهل الضلالة وزادهم مرارة وحسرة.

وقد أخبر النَّبي -ﷺ- عن تصفيد المردة من الشَّياطين في أول ليلة

من شهر رمضان المبارك؛ فلا يخلصون من افتتان المسلمين إلىٰ ما يخلصون إليه في غيره؛ لاشتغالهم بالصِّيام واستشعارهم روحانية الموسم ونفحات الرَّب الجليل -سبحانه-، وفي ذلك قمع للشَّهوات بأنواعها وانصراف إلىٰ الخيرات المختلفة، فالحمد لله الذي جعل رمضان زمانًا لقطع تواصل شياطين الإنس مع مردة الشَّياطين، لترتاح مجتمعاتنا من كيد وكلاء الشَّيطان وشيعته.

ومع أول ليلة من ليالي رمضان يشرع غالب المسلمين في أعمال تعبديَّة وبرامج خيريَّة، فيصومون مع أنَّ النَّهار طويل، والشَّمس لافحة، والرَّقيب البشري لا يقوىٰ علىٰ المتابعة في كلِّ مكان، فيرتقي المسلم مرتبة نحو الإيمان وربما أخرىٰ باتجاه الإحسان، وإنَّ مجتمعًا يعيش بعض أفراده بين هذه الدَّوائر لمجتمع صالح ولو كره المنافقون. وقد يذنب الشَّاب فيتوب، وتخطأ الفتاة فتؤوب، ويزلُّ العالم فيرجع، ويتمكن المقتدر فيعفو، والحمد لله الذي جعل رمضان موسمًا لتثبيت المرابطين وتكثير العائدين والتَّنكيل علىٰ المرجفين بما يرونه ويسمعونه ويحسُّونه.

وتزدحم المساجد في الشَّهر الأجل، ويكثر قاصدوا مكة أو المدينة والمرابطون حول المسجد الأقصىٰ وأكنافه، ولا صوت يعلو علىٰ القرآن يُتلىٰ، ويسمعه المصلون في التَّراويح، ويتابعه الملايين عبر الفضائيات والإذاعات منقولاً من الحرمين بأصوات عذبة ماهرة. وإنَّ للقران مزيد اختصاص في رمضان، فبه نزل وروجع، وفيه

الختمات والتَّأملات. وإنَّ قارئ الكتاب العزيز ليقف منه علىٰ آيات تبني الإيمان وتجدُّده، وآيات تهدم النَّفاق والتَّغريب وتفضحهما، فكم من آية مرشدة، وأخرىٰ كاشفة، وإنَّ النَّظر فيه بتدَّبر مغنم طالما تمنّاه العارفون، ورمضان فرصة للتِّلاوة مع التَّدَّبر والعمل، واستنباط الدُّروس من سوره الفاضحة كالتَّوبة والمنافقون.

وما أكثر ازدحام النَّاس علىٰ العلماء والمفتين في رمضان، فهذا سائل، وذاك مستشير، وغيرهم من أصحاب الحوائج والشَّفاعات، وإنَّ هذا التَّلاحم بين علماء الأمَّة وشبابها وعامتها لعلامة خير وصلاح أقضَّت مضاجع المفسدين حتىٰ تبرَّموا من سؤال العامة عن أكثر شؤونهم، وما فتئوا تشغيبًا علىٰ الفتوىٰ وأهلها، وفرحًا بأي قول شاذ ولو فاه به نكرة أو غير ذي اختصاص.

وللمرأة في رمضان شأن آخر، فالحامل والمرضع وذات العذر لهنَّ أحكام خاصَّة تفسد علىٰ دعاة المساواة وتنقض عرىٰ "السيداو" وتخزي مَنْ ذلَّ لها، ولعمر الله إنّي لأعجب من "سيداوية" تصوم -إن صامت- ثمَّ تفطر لعارض شرعي وهي ما برحت تنعق بالمساواة ومرجعية السيداو. وكما ينقض رمضان اتفاقية الفساد فإنه يؤكد علىٰ خصوصية المجتمعات الإسلامية دون غيرها، وعلىٰ خصوصيات لكل إقليم دون غيره، والخصوصية عقبة في طريق مَنْ يطرق أبوابًا ليست لنا أهل الإسلام.

وفي دهاليز الحياة ومع مشاغل الدُّنيا قد ينصرف النَّاس عن بعض

شــؤون ديــنهم؛ حتــىٰ تــأتي أحــداث تــوقظ النَّــائم وتنبِّــه الغافــل، وهــذه الأحــداث تكــاثرت أخيــراً بصــورة لافتــة وأجــبرت معهــا عــدداً مــن المثَّقفــين والسِّياســيين إلــىٰ مراجعــة أفكــارهم وإعــادة تقيــيم مــا كــانوا يعتقدونــه ســابقا، فمــن هــذه الأحــداث الاعتــداء علــىٰ المقدَّســات والرُّمــوز والشَّــعائر، وإحــتلال الــبلاد وإبــادة الشُّــعوب والأقليــات، ومنهــا مواســم مباركــة تتعاقــب، وإنَّ موســم رمضــان لــه القــدح المعلّــىٰ مــن بينهــا، فهــل نــرىٰ فيــه بــدايات توبــة عامَّــة وخاصَّــة، وأوبــة شــعبية ورســمية، وصلاح الوسائل، واستقامة الأنظمة؟

السبت ٢٦ من شهرِ شعبان عام ١٤٣١

رمضان الخالد معنا

هل سبق أن زارك في مجلسك ضيف كثير البركة، غزير الفائدة، عظيم الأثر، ثمّ انفتل قائمًا للمغادرة وأنت تحاول تثبيطه وإطالة مدة جلوسه، وربما تمسك بأهداب ثيابه وأطراف يديه برفق حتىٰ لا يذهب، وإذا أصر علىٰ الانصراف عزمت عليه أن يكرر العودة لتأنس برؤيته، وتسعد بأحاديثه، وتقتبس من بهائه، فلا تتركه حتىٰ تظفر منه بالوعود الأكيدة علىٰ المجيء ثانية؟

هكذا حال الموفق مع رمضان، ورمضان لا يعود خلال العام إلّا مرة واحدة مهما حرصنا، ومع ذلك فيمكننا أن نمسك برمضان، ونستمسك بمعانيه العظام، ، ونمسِك عن الآثام، فالقبض علىٰ آثار رمضان ليس أمرًا مستحيلًا أو عسيرًا للغاية، ومن وجد اللذة المعنوية، وسرت في كيانه المعنوي والمادي، فلن يدخر وسعه في استبقائها؛ فهي خير زاد، وأحسن وسيلة للنشاط، ومدافعة غصص الحياة وأكدارها.

فحين تقضي وقتًا مع القرآن الكريم تتلوه، وتتدبره، وتقف مع معانيه ومراميه، وتشعر بهيبة خطاب الرب الكبير لك ولعباده، ثمّ تبتهج بختمته مرة أو أزيد، فما الذي يحول بينك وبين النظر الدائم في المصحف، حتىٰ تجلو عينيك، وتهذب روحك، وتصلح قلبك؟

والأمـر يسـير إمـا بتخصـيص وقـت يـومي ثابـت، أو التبكيـر للصـلوات المفروضـة، أو إطالـة القيـام، أو الانتظـام مـع حلقـة قرآنيـة، ومـن وجـد نعيم الجنة فكيف يخرج منها؟

ومما يتقاطع مع الكتاب العزيز صف القدمين للقيام بين يدي رب العالمين، والسعيد من خرج من شهره بالمحافظة علىٰ قيام الليل ولو بأقل عدد من الركعات، ولا يستغني إنسان عن مولاه البتة، وما أعز الخلوة به سبحانه، ومناجاته، وسؤاله، وخيرها أثرًا ما سلم من التكلف والتفاصح، فربنا الرحيم السميع يحب أن نطلبه، ونشكو إليه، ونسأله كلّ شيء، ويا خسارة من فوّت علىٰ نفسه هذه الفرصة وهي لا تكلفه شيئًا، وإنما هي ركعة أو أكثر بعد صلاة العشاء أو قبل النوم، وفيها راحة البوح، وسعادة القرب، وفرحة النوال.

كما أن المرء خلال صومه يتسامىٰ عن حب المال، وإيثار الأنانية البغيضة المفرطة، فيتصدق، ويطعم، ويخرج زكاة ماله، وزكاة فطره، وإن للعطاء طعم فريد يجده أهله ولو كان بشق تمرة، وأوسع الخلق حظًا من استدام فعل المعروف وإطعام الطعام لذوي الحاجة، ابتغاء وجه الله وطلبًا لمرضاته، وخوفًا من يوم عبوس قمطرير، وأتعس الخلق من اكتنز المال ولم ينفق منه لآخرته، وكان في متناول يده وطوع أمره صنع معروف، أو إجراء صدقة، أو إنجاز وقف.

أيضًا تغدو نفس الإنسان في هذا الشهر المبارك مقبلة علىٰ الخير، جافلة عن الشر، مرهفة السمع للنصيحة، قريبة الدمع، سهلة الانصياع

للـذكرىٰ، سـريعة للعفـو، وهـي مواقـف قـوة يقهـر المسـلم بها شـيطانه وهـواه، ويخضـع للحـق وهـو أشـرف خضـوع، وجـدير بالعاقـل استصـحاب هـذه المعـاني معـه ولـو خالفـت هـواه ومشـتهياته، فيكفـي أن الحـق أبلـج مـريح للخـاطر، والانصـياع لـه طاعـة لربنـا وإن الإنسـان لكـادح فملاقيـه، ومـن الغبطـة أن نلقـاه بالرضـا منـه، والإخبـات لـه ولشريعته.

لأجـل ذلـك كلـه، فحـري بنـا التلـذذ بهـذه المشـاعر، والقـبض عليها حتـىٰ لا تفلـت مـن أيـدينا، وأن نعـزز انتصـاراتنا الرمضـانية علـىٰ أخطـر عـدو لأبنـاء أبينا آدم عليـه السـلام، فالعاقـل ينقـذ نفسـه مـن كيـد الشـياطين ويبتعـد عـن مسـالكهم المردية، ومـن فضـل الله أن جعـل لنـا هـذا الموسـم البهـي كـي نبنـي فيـه العوائـد الحسـنة، ونـراكم أعمـال الفـلاح، ونعيـد ترتيـب أعمالنـا وأولوياتنـا، كـي نـوازن المعادلـة بـين الـروح والجسـد؛ فالجسد يبلىٰ، والروح تبقىٰ أرضية أو علوية سامية.

الإثنين ١١ من شهرِ رمضان المبارك عام ١٤٤١

٠٤ من شهر مايو عام ٢٠٢٠ م

رمضان يحرّرنا أم نحرّره؟

ما أعظم شهر رمضان حين نذكره، وما أجمله وهو يقترب، وما أكثر بركاته إذا حلّ؛ فتبدو الدّنيا خلاف التي نعرفها، وكأنّ النّاس ولدوا من جديد فخرجوا بغير الوجوه المنهكة من رهق ونصب، فياله من زمن كريم ثبت شرفه في القرآن العزيز، ووردت التّهنئة به في السّنة المشرّفة، وتسامت مكانته في وجدان الأمّة وأفرادها.

وها قد أتانا رمضان كي نتحرّر من سيطرة الشّياطين، ونكسر أغلال الدّنيا، فنحمي أركان ثقافتنا من محاولة اختراقها أو تحطيمها، فرمضان شرع رباني نقل لنا أحكامه وحِكمه النّبي الكريم عليه الصّلاة والسّلام، ثمّ رواها أجيال من الصّحابة والتّابعين والعلماء، وسيظلّ في كلّ خلف عدول يحملون هذا الدّين ويذبّون عنه، ومن الوفاء أن نذافع عنهم، ونمزّق أراجيف المبطلين المنسوجة زورًا حولهم.

كما يحمينا رمضان من عجمة اللّغة وغربة التّاريخ، فهو اسم عربي خالص، نزل فيه كتاب عربي مجيد، وهو شهر عربي قمري، يحفظ لنا ارتباط الأحكام وشؤون الأمّة بهذا التّقويم، كما يجدّد لنا الذّاكرة بنزول الوحي وتتابع الآيات، ثمّ يعيد لنا الأمل بذكرى يوم الفرقان في بدر، وفتح مكة، والشّرط واضح: إن تنصروا الله ينصركم،

وما ارتباط رمضان الوثيق مع القرآن إلّا لتجديد صلة المسلمين بكتاب ربّهم؛ ففيه الفلاح والنّجاة لمن تدبّر وعمل به، بعد فهم خطابه وأمثاله.

وفي رمضان تحرير للعقيدة من أوشاب الرّياء وأثقال الشّك، وتعظيم لشأن الغيب، وفيه عون علىٰ إقامة الصّلاة كما أرادها الله، وتنمية للمال بالزّكاة التي ترتقي بالغني، وتعين الفقير، وتوثق عرىٰ المجتمع؛ فتحرّره من التفكّك والأنانيّة. وفيه مراجعة لمسيرة التّاريخ، وتنشيط للذّاكرة، وفيه ومضات، ونفحات، ولحظات يُساق في تحصيل أمثالها أنفس الأموال؛ لأنّ ثمرتها الانعتاق من العلائق الضّارة أو الزّائدة.

أمّا تحرير الفطرة فشأن رمضاني أصيل؛ إذ تتسامىٰ الرّوح، ويصفو العقل، ويرتاح الجسد، فيعود للفطرة أصلها الصّائب، وللقلب سلامته، وللنّفس إشراقتها التي خفتت في كهوف الحياة، وللعقل تركيزه واختصاصه، وللجسد صحته واستقامته، وللرّوح مكانتها التي تاهت بجنايات المادّة؛ وما أعظم قيمة الإنسان ساعتئذ، وذلكم شعور فريد لا ندرك فقده ونفاسته إلّا إذا وجدناه.

كما يتحرّر عباد الله في رمضان من تسلّط مردة الجنّ وإفكهم وما يفترون، ثمّ يتحرّر المسلم من أيّ طاعة لغير الله، فيأنف من المخالفات إرضاء للبشر أو انسياقًا مع الهوىٰ أو رضوخًا للضّغط، فيملك زمام أمره وخطامه، ويسترجع وضعه الصّحيح بعد أن خاض

في مبـــاهج الحيـــاة وأوصـــابها، وضـــعف إدراكـــه لحقيقتهـــا، ونســـي مقتضيات العهد المأخوذ عليه من خالقه سبحانه.

ويحرّرنـا رمضـان مـن فوضـىٰ الحيـاة بترتيـب الأولويـات، واسـتعادة التّـوازن، ويعيـد للفـرد مكانتـه في سـياق اجتمـاعي تواصـلي مـتراحم متكـاتف، فالواحـد يعبّـر عـن أمّـة، والأمّـة علـىٰ قلـب إنسـان واحـد، وكمـا يرجـع العبـد لمـولاه وينفـرد بربـه، تـؤوب الأمّـة لخالقهـا، ويتشـارك الواحـد مـع المجمـوع في ابتغـاء الرّحمـة، والفـوز بـالعتق، والخـروج مـن الظّـلام إلـىٰ النـور، ويُفـترض أن تسـعىٰ الأمّـة لتجـاوز صـحراء تيههـا الطّويـل، وتبعـث مفـاهيم التّضـامن والتّـآزر منطلقـة مـن جماعيّـة الإفطـار والصّلاة والسّحور.

أيضًـا تحـرّر معـاني رمضـان أفـراد المجتمـع مـن وبـاء الرّأسـماليّة المتوحشـة، ومـن غثـاء الإعـلام البشـع، فغايـة الوجـود ليسـت لهـوًا ولا بيعًـا أو شـراء، وقيمـة العمـل ترتفـع إذا أصـبح ثمنـه الفـوز برضـىٰ الـرّحمن، أو موضـعًا في جنـان عـدن. ومـن مفـردات الاسـتغناء عـن أغـلال الاقتصـاد الخـانق، وركـام الإعـلام المـؤذي دون النـافع، كـبح جمـاح شـهوات الـنّفس، ومنعهـا عمّـا تجـد مندوحـة عنـه، وهـذا مـا يجعلـه الصّـيام أمـرًا مقـدورًا عليـه بعـد أن ظنّنـاه عسـيرًا، فهـل نهتبـل السّـانحة الرّمضـانية وننجو من هذا الوحل؟

ومـن تحريـر رمضـان لنـا مسـاعدتنا علـىٰ هجـر الإلـف والعـادة، وكسـر وتيـرة الحيـاة، وإنقـاذ أنفسـنا مـن شـهوة الانتقـام وسـلطة الغضـب، فـيعمّ

التّصالح، وتنتشر ثقافة العفو والمسامحة، ونتعالىٰ فوق عزّة النّفس الآثمة المانعة من الخير والأوبة والرّشد، ونبرز أخلاقنا الحقيقيّة المتوافقة مع أصل ديننا، وكريم محتدنا، وشيم مجتمعنا بعروبته وإسلامه وقيمه.

أخيرًا فإنّ رمضان يحرّرنا من سطوة الشّعارات، ويحمينا من اختزال المعاني الكبيرة إلىٰ مظاهر صغيرة، ويوقظ إحساسنا بالفاضل والأفضل، وهو موسم تزدحم فيه الفرص لإصلاح الذّات فما بعدها، وعجبًا لنا كيف نضيع هذه الفرصة؟ والعجب أعجب حين نضيف للتّفريط بها تسليم مفاتحها لمن لا يرجو الله واليوم الآخر، ولا يرقب فينا إلّاً ولا ذمّة، فهذا الشّهر الذي يحرّرنا بفيوضه ونسائمه ومعانيه: متىٰ نحرّره من السّياج المضروب عليه، ومن قبضة من لا يرفع به رأسًا إلّا لمآرب مناقضة لمقاصد رمضان الذي أتانا ليحرّرنا؟

الإثنين ٢٤ من شهر شعبان ١٤٤

٢٩ من شهر إبريل ٢٠١٩ م

رمضان يوقظ الوعي فينا!

بعد أقلّ من تسعين يومًا، سيحلُّ في الدُّنيا شهر رمضان المبارك، ينير ظلمة الليالي، ويشفي من رهق الأيام، ويصلح شيئًا من فساد الأحوال والقلوب، فكم تسعد الأرواح به، وتأنس الأمة بمجيئه، ففيه تصفيد مردة، وزيادة إيمان، وإيقاد ذهن، وإيقاظ وعي.

ومن نفحات رمضان العظيمة، أنَّه يوقظ وعي الأمّة المحمَّدية، ووعي أفرادها، ولا يقوىٰ شيء علىٰ منعه من ذلك، ولا يملك أحد أيَّ شبهة يوردها عليه، فأيّ محاولة للتّلبيس عليه فاشلة مسبقًا، فلرمضان مناعة ذاتيّة قويّة، وفورة انبثاق عجيبة، ولذا كتبت عنه فيما مضىٰ رمضان شهر مقاومة!

واليوم أقف مع هذا الموسم الميمون، وكيف يوقظ وعي الأمة الإسلامية، أو يزيده، أو يصحِّحه، أو يثبته، وما أحلم الله علينا، وأكرمه سبحانه حين جعل هذه العبادات والمواسم تحمل في طيَّاتها خيرًا عظيمًا؛ لمن كان له قلب يتفكّر، أو ألقىٰ السَّمع وهو شهيد.

فأولُّ وعي يرسِّخه رمضان فينا، أنَّنا متعبدون لله ربِّنا في الفعل والتَّرك، وفي القول والفعل والنّية، وأنَّ سيرورة الإنسان فيما أراده الله ليست التزامًا حزبيًا، ولا واجبًا حركيًا، ولا ضغطًا صحويًا، بل نحن مسلمون مستسلمون، متبعون لرّبنا عابدون طائعون.

ومما ينبِّهنا له هذا الشَّهر الميمون، أنَّ القربات لله سبحانه وتعالىٰ لا تقف عند حدود الظَّاهر مع أهميتها، بل تنفذ إلىٰ الأعماق محدثة تغييرًا كبيرًا، وهو الأهم، ومنه يعلم المسلم يقينًا أنَّ الصَّلاة مفروضة، ومن ثمرتها الابتعاد عن الفحشاء والمنكر، وأنَّ الحجاب واجب وفضيلة، ومن بركاته العفّة من الجنسين، وأنَّ الزكَّاة واجبة، ومن وجوبها أن يكون المال حلالاً في أصله، وفي نمائه ومصارفه.

ويؤكد رمضان لنا وحدة الأمّة الإسلاميّة وإن اختلفت أقطارها، وتباعدت ديارها، وتصادم ساستها، وأنَّ المسلم الذي يعيش في شرق الأرض، أخ في الله لمن يقطن في غرب غربها، وأنَّ المجموعات الإسلاميّة في بلاد كافرة، لهم علينا واجب التَّواصل، والعون، والنُّصرة قدر المستطاع، وأحيانًا يكون الواجب علىٰ من يحيا منهم في بلاد ذات نظام وحرية، تجاه إخوانهم الذي يعانون العسف والقهر من حكوماتهم.

ويجعلنا رمضان أقرب إلىٰ كتاب ربِّنا المجيد، فنحن نتلوه قبل الصَّلوات وبعدها، وفي الخلوات، ومع المسلمين في التَّراويح والقيام، ونستمع إليه من الإذاعات، ونتابع الحرمين والجوامع الكبرىٰ عبر الشَّاشات، وما أجدر أمّة القرآن أن ترتبط بكتاب ربِّها في كلِّ حين وحال، وليس أقلَّ من ختمة شهريّة، يستطيعها من التزم بقراءة القرآن ثلث ساعة يوميًا فقط.

ويعيد لنا رمضان التَّوازن في التَّعامل مع التَّقويم والتَّوقيت، فالشَّهر

التَّاسع لدىٰ المسلمين هو رمضان وليس أيلول أو سبتمبر، وعدد أيام الشَّهر ثلاثون أو أقلَّ بيوم واحد فقط، واليوم الجديد يبدأ احتسابه من دخول ليلته، فهي السَّاعة الأولىٰ، ومن الخطل أن يقال عمَّا بعد الظَّهر مباشرة إنَّها الأولىٰ وهي في منتصف النَّهار، وأضلُّ منه أن يقال عن ساعة بعد منتصف الليل هي الواحدة صباحًا! فأيُّ صباح هذا الذي يحيط به الظَّلام من كل ناحية؟!

ومع ارتباط شهرنا المبارك بالقمر، يلمح لنا ولوعينا، بأنَّ الإنسان العاقل الكامل لا يشهد علىٰ شيء إلا أن يراه بوضوح لا غبش فيه ولا احتمال، أو ينقله له العدول الضَّابطون الموثوق في عقولهم وإدراكهم، وإذا تعسّر الوضوح؛ يجري المرء الأمور علىٰ طبيعتها المعتادة.

ويعزّز وافدنا الكبير ارتباط الأمة بالعربيّة، فاسمه جاء بلسان عربي مبين، وأحكامه كلُّها مستقاة من نصوص مقدسة عربية، وإنَّ عودة المسلمين من عرب وعجم إلىٰ لغتهم السّامية، يضمن العودة القوية لدينهم وحضارتهم وتاريخهم، والشَّي بالشَّيء يذكر، فبعض المعارك الكبرىٰ الفاصلة في تاريخنا، كانت في رمضان، وما أقرب الأمَّة من النَّصر حين تكون قريبة من مولاها النَّاصر العزيز.

ويقضي رمضان علىٰ كلِّ دعاوىٰ المساواة بين الجنسين، حين يسقط الشَّارع العليم عن المرأة الصِّيام في أحوال طبيعيّة مخصوصة، علىٰ أن تقضيه في وقت أيسر لها، ويعالج رمضان الغلو والتنطّع

بالرُّخص، ويكذِّب رمضان نزعات الشَّر في النُّفوس حين ينقلب الإنسان الشَّرس، إلىٰ آدمي لطيف قريب من الخير وأهله.

ويفضح رمضان المرجفين المفسدين، الذين يعدِّون العدَّة الخائبة لرمضان قبل شهور من حلوله، كي يفسدوا علىٰ النَّاس فرحتهم بربِّهم، وتلذّذهم بروحانية الموسم، وسعادتهم بجمال دينهم، وأقبح من ذنبهم دعواهم أنَّهم ينشرون السَّعادة والبهجة، فأيُّ سعادة للإنسان أعظم من قربه من ربه ومولاه، وأنسه به سبحانه؟

ويوقظ رمضان فينا المعاني الحقيقيّة للفرح، فلا فرحة أعظم من فرح المسلم بدينه، وابتهاجه بطاعة خالقه، ولذا ينشر المسلمون البهجة مع نهاية رمضان بإطعام الفقراء، والاستعداد لعيد الفطر بالهدايا، واللقاءات، وإسعاد الكبار والصِّغار.

ولو عقدنا المقارنة مع أعداد المبتهجين بكأس العالم، الذي يتزامن انطلاقه مع رمضان القادم، لوجدنا أنَّ أفراد الأمّة كلّهم ينتظرون الموسم؛ بينما ينتظر الكأس جزء من الأمة، وهذا الجزء الغالي علينا، يشاركون المجموع في انتظار رمضان المبارك.

ومن مفاهيم رمضان الدّقيقة، التي يتضمنها وقد لا ندركها من أول وهلة، مفهوم مراكمة القوة، والتَّدرج في ذلك، مع الصّبر وطول النَّفَس؛ حيث يبدأ الشهر، ثم تزداد قوته وآثاره مع الأيام؛ حتىٰ يبلغ مداه الأعظم في عشره الأخيرة، عبر ليلة القدر التي يجتهد في تحرِّيها حتىٰ من فرَّط في أول رمضان.

وما أولانا بتذكير أنفسنا والنَّاس بهذه المعاني، ونقلها لهم؛ كي يعيشوا رمضان علىٰ بينة، ويكون شهرنا طريقًا لرقي تفكيرنا، وسببًا في زيادة وعينا، فإنَّ الوعي ساحة خطيرة للعراك مع المنافقين والكافرين، وإذا انتصر المسلم فيها، وصلحت تصوراته، فالنَّصر المبين سيكون حليفه ولو بعد حين.

ألا ليت الأيام والليالي تطوىٰ، لطوينا هذه الأيام كي نستقبل رمضان، ونتلّقىٰ نفحاته، ونغنم بركاته، ونستروح بأنسامه، ونغسل قلوبنا، ونطّهر نفوسنا، ويكون للحقِّ وأهله صولة من صولاتهم التي تزهق الباطل وأهله أو تكاد؛ فاللهم بلغناه علىٰ حال طيبة في أفرادنا، وأسرنا، ومجتمعاتنا، وبلادنا، وأمتنا.

الأحد ٠٩ من شهرِ جمادىٰ الآخرة عام ١٤٣٩

٢٥ من شهر فبراير عام ٢٠١٨م

رمضان وإحياء شبكات المجتمع!

لا يخلو أيّ مجتمع من شبكات عديدة، تُعنىٰ بجوانب مختلفة، ويكمن الفرق بين مجتمع وآخر، في عدد الشّبكات، وتنوّعها، وفعاليّتها، وتمازجها مع ثقافة المجتمع وحضارته، وموقف الحكومات منها والعكس، ومدىٰ استقلاليّتها عن أيّ روابط فكريّة وحزبيّة، وهو ما يحقّق لها التّأثير، والشّمول، والسّلامة.

وتمتاز حضارة المسلمين بأنّها حضارة شبكيّة، تمنح لكلّ فرد منها الفرصة ليكون فعّالًا مؤثرًا، يستطيع خدمة مجتمعه وأمته بما يقوىٰ عليه ويحسنه، وهذه المزيّة بدأت تضمر في واقع النّاس لأسباب منها الانشغال بهموم الحياة، والابتعاد عن معين الثّقافة الإسلاميّة، والانبهار بمنتجات الغرب، والانحياز الفئوي، فضلًا عن تدّخل المؤسسات الحكوميّة في كلّ شيء، وكان يسعها إتاحة المجال لشعبها؛ كي تفرغ هي لأمور أهم.

ولو نظرنا إلىٰ أركان الإسلام الخمسة، لوجدنا أنّ أربعة منها تعزّز العمل الشّبكي في المجتمع المسلم، وتعين عباد الله علىٰ سعادة العيش مع شعب الإيمان؛ وعدد كبير منها لابدّ له من مجتمع وأناس. فالصّلاة تستلزم وجود مساجد، وأئمّة، ومصلين، ودروس، وفي الزّكاة أموال، وأصناف، ووسطاء، والحجّ يجتهد فيه علماء،

ومرشدون، وتجار، وسقاة، وغيرهم؛ وكم فيه من منافع.

ويبرز دور المجتمع وشبكاته في شهر رمضان المبارك، وكم في قيام مجموعاته بواجباتها من بركات متتالية؛ فالحكومة ترتاح من بعض الأعمال، ولاتنفرد بمسؤوليّة العبء الثّقيل، والمجتمع تدبّ فيه روح الحياة العاملة المنتجة؛ كي يكون مشاركًا وفاعلًا، لا مفعولًا به منتظرًا فقط، وأثر ذلك حميد علىٰ طبقات المجتمعات، وثقافته، وأمنه، وتكافله، وإشاعة الرّضا فيه والطّمأنينة.

فلأجل رمضان، يتراءىٰ البصراء المحتسبون هلال الشّهر، ويكون الثّقة الأمين منهم عونًا للأجهزة الرسميّة في إعلان دخول الموسم الميمون، ويؤدي هؤلاء ما عليهم فقط، ويوكلون مهمّة البلاغ وتوابعه إلىٰ القضاء أو الإفتاء، فهم بعيدون عن الافتئات والقفز علىٰ الصّلاحيات، ولا يرومون القضاء علىٰ مرجعيّة الحكومة.

وتنشط المساجد خلال رمضان، ففيها صلوات وتراويح وقيام، ووعظ وذكر وحفظ للقرآن، ومراجعات للخاتمين، واعتكاف، وختمات ودعوات وفتاوىٰ، ويقصده أهل الحي من الجنسين علىٰ اختلاف أعمارهم؛ فيعود للمسجد شيء من موقعه في حضارة المسلمين وحياتهم؛ فالمسجد ليس مكانًا لتأدية الفروض الخمسة فقط، بل هو مؤسسة اجتماعيّة راسخة، وجدير بها أن تنفذ إلىٰ عمق المجتمع.

ولا يخلو مجتمع من محتاجين وأثرياء، وفي رمضان تجود النّفوس الكريمة ليس بزكاتها الواجبة فقط، ولا بزكاة الفطر المفروضة عليها، بل

يتجاوز المحسنون ذلك إلىٰ صدقات، وهبات، وأعطيات، وإنظار معسرين، وتخفيف عن متضررين، وهذه شبكة ماليّة فيها عطاء، وأخذ، وتيسير، وتأخير، وكم تصفو القلوب بمثل ذلك.

ولا يقف العطاء المالي عند ذلك، بل يتخطّاه إلىٰ خدمة المجتمع المحيط أو البعيد، بمساندة مشروعاته المباركة، وتمويل أوقافه، وتأييد أيّ مسلك ينتج عنه ما يخدم الوطن وساكنيه في أمر دينهم ودنياهم، فمشروعات المسلمين التّعليميّة، والصّحيّة، والتّأهيليّة، والإعلاميّة، وغيرها، تنتظر من يهبّ فيهبها ما يدفعها للأمام.

وإنّ إطعام المساكين لمثال واضح علىٰ شبكة المجتمع، فمشروعات التّفطير، وسلال الغذاء، فيها منفق، ومنفذ، ومتعاون، ومحتاج، وقد يغنم منه غير المسلمين؛ فيفتح الله علىٰ قلوبهم، وينقذهم من النّار. وبعد الفراغ اليومي من التّفطير، يكون الجزء النّظيف منه وجبة أخرىٰ للصّائمين وغيرهم، وما بقي منه وهو غير مناسب للاستهلاك الآدمي؛ يصبح طعامًا مباشرًا للحيوانات أو يعاد تدويره لها، وهذه شبكة أخرىٰ متفرّعة عن شبكة الإطعام، تعتني بالبيئة، والحيوانات، ويا له من سمو باذخ.

ومن الأعمال الرّمضانيّة الجليلة، ما يقوم به الفضلاء للإصلاح بين المتخاصمين، وتنقية الأجواء بين الأزواج، والأقارب، والجيران، والشّركاء، وعموم الفرقاء؛ ويتشجّع سادات النّاس علىٰ التماس العفو والعدل من الزّعماء والرّؤساء؛ فتعمّ الفرحة خلال

رمضان في البيوت والأسر قبل حلول العيد، وهذه شبكة عظيمة، وأجرها على الله.

وكما يوجد شبكات مباركة إيجابيّة، تعمل لصالح المجتمعات والبلدان، ولتحقيق الخيريّة لها في دينها ودنياها؛ فلا تخلو ديار المسلمين من شبكات يسوؤها أن يعود النّاس لربّ العالمين، ويفزعهم تلاحم أفراد المجتمع، وتقارب الشّعوب مع حكوماتها؛ فينغصّون بالفسق، والمجون، والغلو، والشّائعات، والله يكفيناهم بما شاء، وبشبكات من عباده وأوليائه، يؤازرها أهل الجاه والمال والسّلطان.

إنّ شبكات المجتمع تقبس من رمزيّة رمضان وخيراته، فتعود لها الحياة، وقمين بمجتمعات المسلمين أن تكون ذات شبكات ظاهرة نافعة، لا تنتمي لحزب أو جماعة، ولا تصادم الحكومة أو تشاكس النّظام، وغايتها بذل المعروف، والإحسان إلى المجتمع وأهله، والمشاركة الإيجابيّة مع الحكومة والإدارة المحليّة؛ كي تفرغ لعظائم الأعمال، وتنهض لمزيد من التّنمية، دون أن تؤودها أثقال مجتمعيّة؛ فتعجزها عن الحركة الماضية الوثّابة!

الأحد ٢٠ من شهرِ شعبان عام ١٤٣٩

٠٦ من شهر مايو عام ٢٠١٨ م

الأموال ورمضان!

ماهي العلاقة بين رمضان والأموال؟ قبل الجواب أشير إلىٰ أن مقصودي بالأموال الواردة في العنوان هو ما يسمىٰ الآن بعلم الاقتصاد، وهي تسمية جاءت من مداخل الترجمة علينا غالبًا، وربما لا تعبر تلك اللفظة عن المعنىٰ الذي تحتها كله، وهذا الذي جعل الفقهاء الأوائل يختارون لكتبهم عناوين مثل الخراج، والأموال، وهي مصنفات من مفاخر التأليف في مكتبتنا الإسلامية العربية، ومن أمجاد تراثنا العلمي والعقلي، ولبعضها قصص ومرويات.

أما العلاقة بين رمضان والأموال فيمكن لنا ملاحظتها من جوانب عدة، أولها أن أحد معاني رمضان وصيامه هو التقلّل من المشتهيات، والامتناع عنها، ولجم النفس عن الانصياع خلف أيّ رغبة، وفي هذا السلوك الحكيم ابتعاد عن الترف، وضبط للمرء عن إدمان التنعم الزائد عن الحدّ، وفيه زجر للنفس عن أن تشتري كلما اشتهت أو عنّ لها إخراج المال ودفعه، وهذا الكفّ الرشيد سيحفظ الأموال لأهلها، ويبقي علىٰ توازن الأسعار ويمنع من سعارها، ويضمن توافر السلع دون احتكار أو شح، ويجنبنا خطر السرف والبطر.

ومنها أن جمهرة من أثرياء المسلمين وأسخيائهم، وأصحاب المكارم والمروءات منهم، وهم جمع وكثرة كاثرة بحمد الله، قد دأبوا

علىٰ إخراج زكواتهم المفروضة في شهر رمضان ابتغاء المضاعفة من الرب الكريم سبحانه. وزاد بعضهم فطالت أياديه البيض بالهبة والهدية والصدقة، وكم في مثل هذا المال الطلق من تفريج كرب، وستر حاجات، وحفظ وجوه من بذل مائها بالسؤال، وكم فيها من الإبقاء علىٰ التعفف والستر. وقد اغتنم بعضهم الموسم المبارك بابتداء وقف ناجز فيه، أو زيادة وقفه النافذ، ويا باغي الخير أقبل.

كما أن شهر رمضان موسم محرك لأسواق الأطعمة علىٰ وجه الخصوص؛ فموائد الإفطار تمتد في المساجد الكبرىٰ، والجوامع، والأحياء، ومشروعات التفطير تقوم علىٰ طرق المسافرين، وعند محطات التوقف وإشارات المرور، هذا غير الولائم بين الأسر والأصدقاء، وفي آخر رمضان تخرج زكاة الفطر من أصناف الطعام قبيل العيد. ومن هذا الباب ما دأب عليه الناس والنساء علىٰ وجه الخصوص بالتفنن في أنواع المأكولات والمشروبات، سواء بصنعها منزليًا، أو بشرائها جاهزة، وفي كل ذلك حراك تسعد به أسواق الطعام والمطاعم، وتبتهج له قلوب المستثمرين فيها والعاملين بها.

وفي شهر رمضان تزدهر تجارات الملابس المخيطة والجاهزة وما يرتبط بها من غسيل وكي وتزيين استعدادًا للعيد وأيامه البهيجة، ويتصل بالعيد حركة شراء تشتمل علىٰ الهدايا المالية والعينية، والبخور والعطور، والمناسبات وما فيها من تكاليف ومصاريف، إضافة إلىٰ مظاهر الفرح والزينة في الميادين والدور، وهذه الأعمال

تجري غالبًا في شهر رمضان أوله وأوسطه وآخره، وبعضها يبدأ الاستعداد له مع إقبالة الشهر الكريم البهية المحببة.

ثمّ لا تسلو ولا تسل عن البقاع الطاهرة المقدسة وما حول الحرمين الشريفين والمسجد الأقصىٰ في رمضان، وإنه لموسم منتظر من شركات السفر الجوي والبري والبحري، ومن الفنادق، وشركات السياحة والطوافة، ومؤسسات المتعهدين بالإعاشة والنقل الداخلي، وعند عدد غفير من العاملين طوال السنة، أو في الوظائف التي تبدأ مع رمضان وتنتهي بنهايته، وإنها لمن بركات الشهر الميمون علىٰ البيوت والأفراد، وكم من مرة ومرة سمعنا من باعة أن رمضان يعادل لهم موازين العام وكفته.

يضاف لذلك كله أن رمضان فرصة لإنهاء كثير من الخلافات والمنازعات التي نجمت أو عظمت لأسباب مالية؛ فالنفوس مقبلة، والأرواح إلىٰ التآلف والتصافح أسرع، وهو زمن ملائم لردم الهوة، ورتق الشقاق بين الشركاء بتجارة أو ميراث أو فكرة. ومثله تخفيف الديون أو إعادة جدولتها أو حتىٰ دفعها من أموال الزكاة والصدقة والعون حسب حال المبتلىٰ بالديون والمغارم أجارنا الله وإياكم. ومن أخفىٰ العلاقات بين الأموال ورمضان التي قد لا تُلاحظ؛ أن الشهر الكريم موسم جهاد ونصرة وعزة، وفي الجهاد فيء وغنائم ومكاسب، تأتي عقب التعبد لله بعبادة هي ذروة السنام.

وقد يكون في رمضان علاقة طريفة مع المال، وهي أن جرائم

السرقة تصبح أقل، فالنفوس إلىٰ الله أقرب، والسهر في الليالي أكثر، والحركة كثيرة في الأسواق مما يعسر من القدرة علىٰ الهرب من السراق والنشالين الذين يعتمدون علىٰ خطف الحقائب والأجهزة والأشياء الصغيرة الثمينة. ومن طرائف هذه العلاقة أن الغش في السلع والبيوع ربما يغدو أقل في رمضان للأسباب ذاتها، ومثله جرائم الرشوة والفساد بأنواعها، هذا مع أن بعض الناس مغموس في حمأة الشرور ولو نصبت جهنم أمامهم عيانًا عياذًا بالله من قسوة القلب، ومن حال السوء.

أسأل المولىٰ القدير، الغني، الحميد، خير الرازقين، الرزاق ذو القوة المتين، الكريم، المعطي، الوهاب، الواسع، ذا الفضل الكبير، والعطاء غير المجذوذ، والمنن الكبرىٰ، أن يكفينا وإياكم بحلاله عن حرامه، ويغنينا ومن يقرأ ويسمع وينشر بفضله عمّا سواه، وأن يجعل أيامنا كلها عامرة بالرضا والقناعة، ومعمورة بالطاعات والغنائم الأخروية والدنيوية، دون أن يكون فيها شبهة أو خطيئة أو جرم، أو أيّ شيء يحيك في الصدر، وتخشىٰ مغبته وعواقبه إن في الدنيا أو البرزخ أو الآخرة.

ليلة الخميس غرة شهر رمضان المبارك عام ١٤٤٤

٢٣ من شهر مارس عام ٢٠٢٣ م

نفحة من ليلة!

لله مِنن في الزّمان والمكان والحال، لينقلب الموفّق من فضل إلىٰ فضل، ولا يكاد ينقطع المحسن عن فرصة يزداد فيها تعبّدًا لمولاه، فأيّ فوز أعظم، وأيّ منزلة أسنىٰ، من حبّ الله والرّضىٰ عنه؛ عسىٰ أن ننال محبته ورضوانه وولايته.

ومن جملة نعم الله الزّمانيّة علينا أن جعل ليلة من ليالي أفضل الشّهور ذات قدر ومكانة، تضيق الأرض من كثرة ملائكة السّماء المتنزلين إليها بأمر ربّهم، وتُكتب فيها الأقدار، فالسّعيد من اهتبل بركاتها، ومن البلاء والاستدراج تفريغ جوهرها بالشّعارات، والانشغال عن حقيقتها بالاحتفالات التي لا تقدّم ولا تؤخر، وليس فيها تعظيم أو توقير لله ربّ العالمين.

ثمّ إنّها امتازت بهذا الفضل والحضور ببركة نزول القرآن العظيم فيها، أفلا نجعل لنا من كتاب ربّنا نصيبًا يوميًا مفروضًا، كي تستوعبه القلوب والعقول، وتبني بآياته وعظاته ومفاهيمه حواجز سميكة تحول دون طوفان الشّهوات والشّبهات، وهي كثيرة تتناسل من حيث نحتسب أو لا نحتسب.

لذا فما أحرانا علىٰ المستوىٰ الفردي بالتّفرغ التّام لها، وعلىٰ المستوىٰ الجماعي بالاحتشاد لاستقبالها، وتشجيع الآخرين علىٰ

قيامها؛ فهي ليلة عن ألف شهر، ومن أدرك ستين رمضان واستثمرها كسب فضل ستين ألف شهر تعادل خمسة الآف سنة، وما هي إلّا سويعات نحجز فيها أنفسنا، لنحسن استقبال عام بعدها، ونبقي في نفوسنا جذوة منها وقسمًا من روْحها، ونتوقىٰ بها يومًا عند الله كألف سنة.

وحين سألت أمّنا عائشة رضوان الله عليها رسول الله ﷺ عمّا تقوله إذا أدركت ليلة القدر، أجاب معلّمًا زوجه الأثيرة والأمّة من بعدها إلىٰ دعاء مختصر لا تكلّف فيه ولا تنميق : **"قولي: اللّهم إنّك عفو كريم تحبّ العفو فاعف عني"**، وفيه إرشاد إلىٰ جوامع الدّعاء، وترك الاعتداء، فمن عفي عنه في الدّنيا سلم من العقوبة، ومن فاز بعفو الآخرة نجىٰ من النّار.

يالها من ليلة تُقضىٰ فيها الحاجات، وتُغفر الزّلات والعظائم لمن أناب وتاب بصدق، ويتقارب العبد من طاعة مولاه، ويتزوّد لعام قابل وأيام قادمة، والحصيف من اختلىٰ بربّه، وأفرغ قلبه، وسكب ماء عينيه بين يدي مولاه، وابتهج بضيوف الأرض من ملائكة الكبير المتعال؛ فأيّ أمن، وأيّ اطمئنان؟ وإنّ الخسران في انقضائها دون حيازة أكبر ربح ممكن؛ وكلّها مربح!

وهي ليلة من عشر، أو واحدة من خمسة أوتار، أرجاها ليلة سبع وعشرين دون جزم، وفيها اجتهادات عديدة تتجاوز الثّلاثين قولًا، وذهب آخرون إلىٰ أنّها تنتقل بين اللّيالي، وللشّيخ الرّاحل ممدوح

الجبرين اجتهاد جريء يحصرها في ليلة الثّلاثاء الفرديّة من العشر استنادًا لحديث فضل يوم الاثنين «**ذلك يوم ولدت فيه وبعثت فيه وأُنزل عليّ فيه**»، بينما يذهب المفسّرون إلىٰ أنّ نزول القرآن ليلة القدر ينصرف إلىٰ نزوله من اللّوح المحفوظ إلىٰ بيت العزّة في السّماء الدّنيا؛ وليس إلىٰ نزوله علىٰ النّبي عليه السّلام في الغار، والعلم عند الله.

إنّها ليلة سلام، وأنس، وسكون نفس وأجواء، ليلة نفحات مَنْ ظفر منها بنفحة قد تنجيه من لفح لهيب يتلّظىٰ، ومن فاز بنفحة منها حاز من المِنح ما لا يوصف، ومن غنم نفحة منها كان كمن ارتقىٰ من سفح لقمّة، فكيف نتركها ولا نتسابق إليها، وهي متاحة لأيّ أحد دون أن يُنقص نصيب فرد منها حظّ غيره فيها، وما أكرم الله وأحلمه يوم اختارها في شهر رمضان والنّفوس مقبلة، وصيّرها في أواخره بعد مران علىٰ القيام والتّبتل؛ ليجتهد الصّادقون قبل فراقه، مخافة ألّا يعودوا إليه.

ليلة السّبت ٢٠ من شهرِ رمضان المبارك عام ١٤٤٠
٢٥ من شهر مايو عام ٢٠١٩م

رمضان بين الزمن واللغة

للعبادات والمواسم الشرعية بركات عديدة، ومنها أثرها البين على الزمن، وعلى اللغة، وحتى يستبين هذا الأمر يمكن الإشارة إلى أننا نحسن إدارة اليوم والليلة بالصلوات والآذان، ويذكرنا يوم الجمعة بمضي أسبوع ومجيء آخر، ونعلم من الأيام البيض عن بلوغنا منتصف الشهر، ويخبرنا رجب وشعبان بلسان الحال عن قرب المواسم الكبرى. وقد يدركنا الوهم بخصوص سنة ما أو حدث مهم فيكون من حلول رمضان والعيدين وموسم الحج وعاشوراء القول الحاسم في التحديد والتذكير بجريان الزمن، وتعاقب السنوات، وهي ميزة عسيرة في بقية التقاويم مع وجود أصلها؛ بيد أنها في تقويمنا الهجري المرتبط بشريعة ربنا وأحكامه ظاهرة جلية جدًا، وسهلة طيعة.

فرمضان المبارك يضبط لنا السنة الهجرية، ويستطيع أي أحد بكل يسر ربط الأحداث مع رمضان سلف، أو بأي رمضان سيأتي، وهذا أمر مشاهد على الصعد الشخصية، ومع إخراج الزكاة، وفي مسارعة حكومات البلاد الإسلامية للتوسعة على شعوبها، وفكاك الأسرى كي تكون الفرحة لأهاليهم مضاعفة. ولا تقف هذه الخدمة الرمضانية عند نفسه فقط؛ إذ تفيض من محاسنها بالنسبة إلى ما قبل رمضان أو وما بعده وهكذا.

يضاف إلىٰ ذلك أن رمضان يعزز فينا قيمة الزمن، فالمسلمون يتحرونه ويحسبون له دخولًا وخروجًا، والدقيقة فيه فارقة إن في فطره أو سحوره أو ابتهالاته وترقب نفحاته؛ فيعظم لدىٰ المسلم شأن الزمن والإحساس به وتقدير قيمته وآثاره أو هكذا ينبغي، ولربما أن هذه الأمر يتأكد كثيرًا مع العشر الأواخر، وعلىٰ وجه التحديد في المسارعة للفوز بليلة القدر، والتخطيط لإخراج زكاة الفطر بوقتها، وما أعظم العبادات ومواسمنا الشرعية الطاهرة، والعجب كل العجب مع أمة تهدر أوقاتها وكل شيء في دينها يزن لها محياها ومماتها لحظة بلحظة!

أما تأثير رمضان علىٰ اللغة فواضح من ابتكار كلمات وتراكيب، أو إضافة معنىٰ لكلمة موجودة لدرجة الاستيلاء علىٰ المعنىٰ وتناسي المعاني القديمة، فالشريعة دومًا غالبة رفيعة عليّة، ولا يعلو علىٰ مولانا الحق ودينه شيء البتة. ومن الأمثلة علىٰ ما سبق كلمات مثل: (الإمساك، الصوم، الصيام، الفطر، المفطرات، السحور، الاعتكاف، التراويح، القيام، التهجد، العشر الأواخر، ليلة القدر، زكاة الفطر)، ويضاف لها التفنن في صيغ التهاني والتبريكات، والفتوحات علىٰ الكتّاب والشعراء حوله، وخير من ذلك كله أن كثرة تلاوة القرآن الكريم والانصات له، وتواتر الاستماع العذب للسنة الشريفة، سوف يرتقي بلغة المرء وبيانه، وتلك فائدة إضافية علىٰ ما لهذا السماع من جوانب عقدية وتعبدية وخلقية.

فحقيق بالمسلم أن يزيد من افتخاره بدينه واستمساكه بشريعة ربه، فهذا الدين ذو منهج تأتي معه المكارم بأنواعها، فمنها ما ننعم به وندركه، ومنها ما ننعم به وإن غفلنا عنه، ومنها ما لم يوفق إليه بعض المكلفين من الخلق، ونطمع أن يوفقنا ربنا له في قريب عاجل. والحمد لله الذي أكمل لنا دينه، وأتم لنا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، ونعوذ بالله من الخذلان والنكوص، ومن أن نستبدل فنُستبدل، ونسأل القدير ألّا نتولىٰ عن طريقه، وألّا نبتعد عن منهاج أوليائه المنعم عليهم وحسن أولئك رفيقًا.

الأربعاء ٢٦ من شهرِ رمضان المبارك عام ١٤٤٣

٢٧ من شهر إبريل عام ٢٠٢٢م

رمضان والحدث الأعظم

لم يربط بين السماء والأرض حدث مستمر أعظم من نزول القرآن الكريم خلال ثلاثة وعشرين عامًا علىٰ النبي محمد ﷺ، فهو الكتاب العزيز المحفوظ في اللوح، وهو الكتاب المقدس الذي جاء به من عند الله سبحانه وتعالىٰ جبريل عليه السلام، ونزل به علىٰ الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، في شهر رمضان المبارك.

لذلك ارتبط القرآن الكريم مع شهر رمضان المبارك ارتباطًا وثيقًا؛ فيكثر الناس من تلاوته فرادىٰ، أو في صلوات التراويح، أو في الدروس المنزلية والمسجدية، أو عبر القنوات المختلفة، ويقبل عليه العبّاد في ختمات، وتدبر، وتداول لحكمه وآياته وترتيلاته، ولأجل هذه العلاقة المتينة يؤوب الناس لرب العالمين مهما جنحوا عن الطريق القويم أو الصراط المستقيم.

فأصبح القرآن العزيز أحد أهم الأسباب التي ثبتت بها أمة الإسلام أمام العواصف العاتية، والفتن المهلكة، وهذا مصداق لحديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي أخبرنا فيه بأنه ترك فينا ما إن تمسكنا به فلن نضل أبدًا، وكان القرآن الكريم في جميع الروايات هو الضامن الأول للهدىٰ والسلامة من الضلالة، ومن التيه في الشعاب والصحاري، وصدق الله ربنا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾.

ولأن هذا هو حال كتاب ربنا المحفوظ من التحريف، المضمون خلوده، الميسر بيانه، اليسير فهمه، والمتاح الوصول له عبر أكثر من سبيل مباشر وورقي وإلكتروني، فما أجدر الأمة بالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ بحثّ النفس والناس كافة علىٰ العودة الصادقة اللصيقة لكتاب المولىٰ، إن في رمضان أو في غيره، علىٰ أن يتابع المرء نفسه ومن حولها في هذه المسألة بين آونة وأخرىٰ.

وحين يرجع الناس لكتاب ربهم، ويتعاهدونه تلاوة وحفظًا؛ فسوف يكون منطلقهم في التصور قرآنيًا متبعًا للكتاب والسنة، وستغدو أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم متوافقة مع هذا المصدر الأساس، والكتاب النبراس، علىٰ قدر الوسع والاستطاعة، ومن زلّ أدرك الخلل، وعرف المسار الآمن للنجاة بالاعتصام بالله ثمّ بكتابه العظيم.

وحين يعود الناس لكتاب ربهم وخالقهم، يستقر في أذهانهم وقلوبهم، أن هذا الكتاب المحكم هو المرجعية الحاكمة لهم وعليهم وبينهم، وهو الأصل الذي لا يحيد عنه مسلم، ولا ينصرف عن هداه إلّا المغبون الهالك، وسوف تكون هذه الصلة القرآنية العميقة السبب الأكبر للنهوض من العثار، واليقظة من الرقاد، والعودة إلىٰ الرشد والقيادة؛ وكيف لا يكون ذلك كذلك، وهي صلة بأعظم حدث نزل من السماء إلىٰ الأرض منجَّمًا!

الاثنين ١٦ من شهر شعبان ١٤٤٥

٢٦ من شهر فبراير ٢٠٢٤ م

رمضان واليسر!

أخبرنا ربنا الرحمن الرحيم الودود ضمن آيات الصيام وشهر رمضان الواردة في سورة البقرة، أنه يريد بنا اليسر بقوله -عز وجل-: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ الآية. والحقيقة أن النصوص الشرعية التي تؤكد هذه السمة العظيمة لديننا الحنيف القيم كثيرة، ومن كثرتها أن بحث علماء كبار مسألة رفع الحرج والعسر في رسائل علمية، أذكر منهم الآن الشيخ أ.د.يعقوب الباحسين -رحمه الله-، والشيخ أ.د.صالح بن حميد -حفظه الله ونفع به-، وكلاهما من أساتذة الجامعات، وأعضاء هيئة كبار العلماء، فضلًا عن أن الشيخ ابن حميد إمام للحرم المكي وخطيب، فما أجدرنا أ نفرح بهذا الدين الكامل والمرتضىٰ لنا من الرب الجليل سبحانه.

إن ورود هذه الآية ضمن آيات رمضان والصيام، لتشير إلىٰ ترافق اليسر مع رمضان، والتيسير مع الصيام، وأحاول هن استجلاء بعض ملامح هذا اليسر والتيسير، يسر الله لنا ولكم، فمنها:

١. أول اليسر أن الشهر معروف غير مختلف فيه ولا مجال للاختلاف حوله أو التلاعب بموعده البتة؛ فهو شهر رمضان، الشهر الهجري التاسع.

٢. من اليسر أن دخول الشهر وخروجه لا يحتاجان إلىٰ كلفة

وإجهاد نفس، فمن رآه بأي طريقة شرعية للرؤيا وهو ثبت عدل، سوف يلتزم الناس حوله بالصيام أو الفطر حسب الضوابط الشرعية والتراتيب المرعية، وما الجدال الذي يصاحب أول يوم منه وآخر يوم، إلّا صنيع من فوّت علىٰ نفسه اغتنام هذا اليسر، وهو لا يعلم، أو وهو يعلم.

٣. يبدأ الصيام والإمساك مع الفجر وهو وقت معروف بين، ويجب الفطر مع الغروب وآذان المغرب وهو واضح جلي، وأي يسر أكبر من ذلك حتىٰ لو لم يكن معنا ساعة!

٤. جعل الله الغاية من الصيام التقوىٰ وتزكية النفوس، فلا إصر فيه ولا عقوبة، وهذا لعمركم من أعظم أبواب اليسر.

٥. أباح المولىٰ الحكيم لمن لم يستطع الصيام الفطر والقضاء المؤجل، أو الفطر مع القضاء والكفارة، أو الفطر بلا قضاء ولا كفارة، وهذا باب واسع من اليسر.

٦. تعددت أسباب المغفرة والقبول في هذا الشهر؛ فمجرد إدراكه سبب للمغفرة، وكذلك صيامه إيمانًا واحتسابًا، فهو شهر لا يصومه منافق في الغالب. ومن أسباب المغفرة قيامه إيمانًا واحتسابًا، وجلّ المساجد لا تطيل القيام. ومنها قيام ليلة القدر فقط، وهي واحدة من خمس ليال فقط، وما أيسرها.

٧. في كل ليلة للرب الرحيم الرحمن عتقاء من النيران، وفي آخر ليلة يعتق خالقنا البر الرحيم العدد الأكبر، وما أيسر البحث عن فرصة

للعتق خلال هذه الليالي، ويا حسرة من فرط وأضاع.

٨. من اليسر كثرة أسباب مضاعفة الحسنات؛ فرمضان كله موضع زماني للمضاعفة، والصيام حال يرتبط معه زيادة الأجور، فاصنع ماشئت من خير وابشر بصحيفة مليئة بالحسنات بعد القبول.

٩. من التيسير علىٰ العباد الصائمين أن خصص الله لهم بابًا في الجنة هو باب الريان، والله يدخلنا منه ووالدينا والمسلمين.

١٠. من سبل التيسير أن منحنا السميع القريب المجيب فرحتين إحداهما معجلة حال الفطر ومعها دعوة مجابة، والأخرىٰ مؤجلة عند لقاء الرب الكريم، ويا لها من فرحة لا توصف.

١١. شرع الله لنا زكاة الفطر طهرة للصائمين، وتخليصًا لعبادتهم من الشوائب، وفيها فوائد مجتمعية وتجارية وصحية، وهذا كله من اليسر المبارك.

١٢. يعين الرب الكريم عباده علىٰ أنفسهم فيجودون في رمضان أكثر من غيره، وتسهل عليهم الصدقة، وهذا التيسير سيغدو لهم ظلًا يتفيئونه في يوم طويلة مدته، قريبة شمسه، كثيرة جموعه، شديدة مخاوفه.

١٣. يفتح الله علىٰ الصائمين أبواب النفحات فيتلقاها الموفقون بطرق شتىٰ، فمنهم من يتعلق بالصيام، أو القرآن، أو الذكر، أو الخلوة، أو التدبر، أو الصدقة، أو العمرة، أو طول القيام، أو غير ذلك من الطاعات، وهو يسر كبير حين يرتبط المرء بقربة صالحة طوال

عمره الباقي، أو بخبيئة يواظب عليها مبتغيًا بها رضا الله.

١٤ .من اليسر أن الفطور والسحور يكونان بأيسر شيء، ولكل واحد منهما وقت فيه فضيل ذو ميزة، وفي السحور عبادة الاستغفار، والقرب من الرب في ثلث الليل الآخر وساعة السحر، وفيه تفوق علىٰ اليهود الذين حرموا من هذه الأكلة المباركة في كل شيء، ولئن تفوقنا في رمضان عليهم بالسحر، فسوف نتفوق عليهم في رمضان – وفي غيره– بالثبات والنصر!

١٥ .من مظاهر اليسر سهولة التوبة والعودة لله؛ إذ تمتلئ المساجد بالمصلين، ويزداد عدد التلاوات والختمات المقروءة والمسموعة، وتخشع القلوب القاسية، وتدمع العيون الجافة، ويشيع العفو بين الناس والتصافح الذي كان صعبًا علىٰ النفوس خاصة الغليظة منها.

هذه بعض مظاهر اليسر والتيسير في شهر رمضان المبارك، قسم منها معنوي، وبعضها مادي، والمهم أن نتعبد لله بها ونحمده عليها، وهذا باب من التأله قد يغيب استشعاره والشكر عليه، فالحمد لله أن جعلنا مسلمين، والحمد لله أن كتبنا مع المدركين لرمضان، والحمد لله أن وفقنا للصيام والقيام وما فيهما من تيسير، والله يفتح علينا وعليكم من صالح القول والفعل والعمل ما ينمو وينفع ويبقىٰ.

ليلة السبت ٢٢ من شهرِ رمضان عام ١٤٤٦

٢٢ من شهر مارس عام ٢٠٢٥م

رمضان وسمو المعاني!

ترتبط الأمكنة والأزمنة بمعان لا تنفكّ عنها ولو جهد في ذلك من اجتهد، فالقدس أولى القبلتين، وثالث المساجد بعد الحرمين، ومنتهى المسرى، ومبتدأ المعراج، وأرض البركات، والفتوحات، والأنبياء، والمحشر في آخر الزّمان؛ فكلّ مكر لانتزاع هذه المعاني، أو تبديلها؛ فمآله الفشل ولو بعد حين.

ولرمضان معاني سامية ارتبطت معه منذ امتنّ الله به على الأمّة المحمّديّة، فصامت نهاره، وأحيت ليله، إيمانًا واحتسابًا، وتعرّضت فيه لنفحات الرّب الكريم الجواد، وتسامت عن كثير من نوازعها البشريّة، ودافعت شهوات وأهواءً لم تكن تصبر عن فراقها فيما مضى.

فمن معاني رمضان الكبرى، الوضوح وإمضاء الأمور على طبيعتها، وأخذ الدِّين برفق لا عنف فيه ولا ليونة، وهذا المعنى واضح في سهولة ابتداء الصّيام، ويسر انتهائه، فما هو إلّا هلال دقيق في السّماء يراه العدول فنصوم ونفطر، وإلّا أجرينا الأيّام على طبيعتها بكلّ هدوء، وأكملنا العدّة.

ويحسن بنا التّفطّن؛ كي لا نصنع من مسألة الرّؤية والحساب سبب بلبلة، أو سبيلًا لإثارة مسائل مشكلة مشغلة، فالنّص الشّرعي

وتطبيقاته واضحة منذ القدم، والانصراف لعمل عميق متين أولىٰ من تضييع العمر في وحل المماحكة، ولجج الجدال في شأن فرعي غيره منه أولىٰ، وقد يحسم بكلمة أو قلم.

ومن أجلىٰ المعاني الرّمضانية أخذ الأمور علىٰ ظواهرها، وإيكال البواطن إلىٰ العالم بالسّر وأخفىٰ، فالأصل في المسلم أنّه صائم أو من أهل الأعذار، ولا يصار إلىٰ خلافه إلا بثبوت المخالفة عن عمد وبلا عذر. وبمراجعة أحكام رمضان نلمح فيها التّيسير، ورفع الحرج، ودفع المشقّة، والرّخص، مع ما فيها من عزيمة تؤول إلىٰ التّقوىٰ والصّدق، فما أكمل دين الله، وما أعظم جناية أهل التّحريف بإفراط أو تفريط أو تأويل.

ومن معاني رمضان الأساسيّة أنّ المسلم يصومه، ويحتاط ممّا يشوبه، ويجتهد في الاستزادة من فضائله، ويتحرّىٰ أوقاته بالثّانية، ويفعل ذلك كلّه بدافع تعبدي محض، فما أجمل الحياة وهي تسير في دقائقها وعظائمها وفق مرضاة الله، فلم لا نقبس من رمضان أسمىٰ مراتب الحياة؛ حين نكون عبيدًا لله، فتصبح صلاتنا، ونسكنا، ومحيانا، ومماتنا لله ربِّ العالمين؟!

وللمجتمع مكانة بارزة في شهر رمضان، فالنّص الشّرعي يأمرنا بالصّيام مع النّاس، والفطر معهم، علىٰ اعتبار أنّ المجتمع سيصوم ويفطر بطريقة صائبة، وفي ذلك حفاظ علىٰ جماعة المسلمين، وصيانة لوحدتهم، وتعزيز للنّظام، وإبعاد للفوضىٰ، فشهر رمضان

اجتماعي في دخوله، وفي بركاته، وفي خروجه.

وتختلف أعراف الأمّة الإسلاميّة في رمضان، سواء في طريقة استقباله، أو نظام غذائه، أو برامجه الاجتماعيّة، وهذا الاختلاف جميعه من التّنوع المقبول، والثّراء المحمود لحضارة المسلمين، فأمّة محمد ﷺ قد سارت مسير الشّمس، فضمّت شعوبًا وقبائل ودولًا ولغات وعادات، ومن البديع اللّافت أنّ أعرافهم تذوب أمام حكم الله وشرعه، وسنّة نبيه وهديه، فيكاد صومهم أن يتماثل علىٰ اختلاف الدّار، واللّسان، والعوائد، والزّمان، وهذا منهاج نفاخر به ونستمسك.

وحين تجتمع كلمة الأمّة في رمضان، يظهر مَنْ يرىٰ نفسه مباينًا للأمة، غريبًا عن نسيجها، فيتعمّد مخالفة المسلمين في بداية الشّهر ونهايته، أو في وقت الفطر وأحكام الصّوم الأخرىٰ، وفي آداب الموسم وسمته، فحين ينشغل العبّاد بالقرآن والمساجد، يهرع هؤلاء إلىٰ الشّبه، والشّهوات، واختطاف روحانيّة الوقت.

وفي رمضان لا يضنّ العبوس ببسمة، ولا يبخل الغافل بسلام، ولا يشّح الجموع بمال، ولا يتأخّر الكسول عن طاعة، وما هذا التّسامي علىٰ الطّبائع، وتجاوز الجبلّة، إلّا فيض من أنوار رمضان، وبركاته، وفيه حجّة علىٰ النّفس اللّوامة؛ حتىٰ نغلبها فتغدو مطمئنّة سائرة إلىٰ مولاها، ساعية فيما يرضي الإله، ويقرّب منه سبحانه.

والملاحظ أنّ المعاني المرتبطة برمضان تقع في أقسام، فبعضها قديم مستمر، وبعضها قديم زاد أو نقص، ومنها ما اندثر أو كاد، وفيها

ما استجد، والمهم في هذا كلّه أن يبقىٰ لرمضان جماله وبهاؤه، وأن يكون قدره عظيمًا في نفوس المسلمين، فرمضان، والحجّ، ومكة، والمدينة، والقدس، تمتلك قوّة في ذاتها، ولديها القدرة علىٰ إحياء الشّعور الإسلامي، وبعث جذوة التّدين، والوحدة، والإصلاح، من جديد.

الأربعاء ٣٠ من شهرِ شعبان عام ١٤٣٩
١٦ من شهر مايو عام ٢٠١٨ م





زكاة الفطر: وداع واستقبال وحِكَم!

شرع النبي ﷺ لأمته إخراج زكاة الفطر، وجعل وقتها في خواتيم شهر رمضان المبارك، ومستهلّ عيد الفطر، فكأنها وداع تطهري للشهر الميمون، واستقبال مبتهج للعيد السعيد. وكم في هذه الزكاة من حِكَم عظيمة بعيدًا عن الخلافات الفقهية التي قد يُنسي التشعب فيها رؤية الحِكم التي تتضمنها، مع تسليمنا التام بوجوب الطاعة والامتثال للأمر الشرعي بغضّ النظر عن ظهور حكمته من عدمه، ويتلوه تسليم آخر ويقينٌ بأن جلّ الحكم التي تُساق تبقى اجتهادية قد تصيب ولا شيء يحميها من الخطأ.

فمن الحكم التي تبدو في عبادة إخراج زكاة الفطر مرة واحدة سنوية:

١. فضيلة إطعام الطعام خاصة أيام العيد، وإن إطعام الطعام على حبه لمنجاة لصاحبها من يوم عبوس قمطرير، وكم يخفي الكرم من خلل النفوس ونقص البشر. وفي الإطعام مقاومة لبلاء الجوع الذي يكون قسم منه من جنايات الأشرار على البشرية. وكم جذبت الموائد الناس حتى قيل إن بيوت أبناء العباس مقصودة من أصناف الناس بحثًا عن علم عبدالله وطعام عبيدالله -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

٢. تنشيط حركة العمل والبيع والشراء والاستئجار والتوظيف

الدائم أو المؤقت، وإنعاش السوق حتىٰ لا يركد، فمن بركة رمضان أنه موسم تجاري لكثير من صغار الباعة فمن فوقهم، وكم لله فيه من نفحات وخيرات وبركات.

٣.تفعيل العمل المجتمعي سواء الفردي منه أو المؤسسي، وعلىٰ نطاق الأسر والجيران والأحياء، وفي محيط المدن وما جاورها، وهذا العمل يصنع قائمة إحصائية دقيقة بالمحتاجين إذا أدير وفق معايير شرعية وتنظيمية مع تحديث مستمر لمعلوماته حتىٰ لا يوجد بيننا فقير يتضور جوعًا، ولا يتزيّد أحد بالجمع والتخزين وهو مستغن عن هذا الكنز الممرض للروح.

٤ .تأكيد مسؤولية المرء عن نفسه وعمن يعول، فالزكاة طهرة للصائم، ويخرجها الرجل عن أهل بيته، وفي هذا الصنيع مسؤولية وإعالة وقوامة، وعسىٰ أن تعدل زكاة الفطر الموازين التي بدأت تنقلب رأسًا علىٰ عقب ليرجع المسؤول إلىٰ رسالته، ويؤوب التابع إلىٰ موقعه.

٥ .تعويد النفس علىٰ تكميل النقص، وتطهير الخطأ، والبحث عن مقاربة التمام، وكسر حدّة الكبر التي ترفض أيّ ملاحظة أو نقد أو مقترح أو تقويم.

٦ .حدوث نوع من الوحدة والتساوي حينما يكون طعام غالب أهل البلد من الأصناف ذاتها، وتغييب مظاهر الطبقية التي تحزّ في نفوس قوم ينظرون ويسمعون ولا يجدون حيلة ولا سبيلًا للمشابهة.

٧.تعليم الناس الانضباط والدقة في الزمان والكمية والأصناف، ولا ريب أن إدارة الحياة بطريقة حسنة لا تكون إلّا بمراعاة عامل الوقت الذي تهدر قيمته أحيانًا.

٨. التأكيد علىٰ ضرورة إغناء الأقربين بالنسب، والمتقاربين بالجوار قبل غيرهم، وفي هذا تحقيق لسعادة مشتركة، وغرس لسلم مجتمعي منشود.

٩. من لطائف حكم زكاة الفطر ارتباط الأعياد بالأكل والشرب المعتدل، فالطعام أحد طيبات الحياة الدنيا، ويا له من واقع محزن ألّا يجد أناس طعامًا يشبع أو يمنع من الموت، وفي جوارهم فئام أدركت التخمة كلابهم وقططهم!

١٠. من أجلّ دلالات زكاة الفطر ضرورة العناية بالسنة النبوية، فهي وحي مثل القرآن العزيز، والثابت في السنة وفقًا لمنهج علوم الحديث ومصطلحه ورجاله وقول علمائه الثقات يجب العمل به حتىٰ لو لم يرد في القرآن الكريم، مثل زكاة الفطر وغيرها.

كم في شريعة الله الحكيم ربنا من حكم تظهر وتخفىٰ، ولا يجزم المرء بشيء مما يرد في هذا الباب ما لم يكن منصوصًا عليه، وإنما هي للاستئناس وزيادة إقبال النفوس عليها، تلك النفوس التي أسلمت قيادها لربها، وآمنت بمولاها سرًا وجهارًا، وجهدت لتكون من عباده المخلصين والمحسنين، الذين يرجون ما عند الله من ثواب لمن أطاع أمره، والمشفقين من غضب الرب القدير علىٰ التهاون أو العصيان، فاللهم تقبل واغفر ولك المنّة والحمد.

الثلاثاء ٢٩ من شهرِ رمضان عام ١٤٤٢

١١ من شهر مايو عام ٢٠٢١م

دلائل رمضانية قبيل الختام!

جرت العادة أن تسبق الكتابة دخول شهر رمضان المبارك أو تواكبه، وفعلت ذلك مرارًا، حتىٰ لو جمعتُ ما دونته لجاء في كتاب لطيف الحجم عن هذا الموسم الميمون والحمد لله. بيد أني هذه المرة أردت إرجاء الكتابة إلىٰ قبيل خواتيم الشهر، سائلًا المولىٰ القبول والعفو، وأن يعيدنا إليه ونحن في خير وحال أحسن علىٰ كل صعيد. والحقيقة التي قد لا يخالف فيها أحد هي أن عامة البشر يتأثرون كثيرًا حال الاستقبال فرحًا بالضيف، وعند الوداع حزنًا علىٰ الفراق، ومن المهم اغتنام هذه الأحوال. وإذا انتهىٰ رمضان فإنه سوف يأتي كرة أخرىٰ مرات ومرات، وسوف تفد معه نفحات الرب الجليل سبحانه؛ لتهب علىٰ الأفراد والمجتمعات فتبعث فيها من جديد الروح والطمأنينة والانشراح، والثقة بنصر آتٍ وفوز مبين في الدارين أو في الأخيرة منهما.

إن شهر رمضان المبارك يبقي الإنسان الطائع في دوائر الإسلام والإيمان والإحسان، ويعينه علىٰ الثبات فيها، خاصة مع توالي المحاولات الشيطانية لاجتثاث العباد من دوائرهم هذه، وإخراجهم إلىٰ ظلمات من التهاون، والعصيان، والشك، والنفاق، والإلحاد، وكلما شعر أئمة الفساد بأن مطلوبهم الخبيث قد اقترب تحقيقه، وآن

الاحتفاء بإنجازه، وفد رمضان بجلاله وهدوءه، فحطم بنيانهم الذي كان على شفا جرف هار، وصيّر الجهود والإفك مثل هباء منثور في يوم رياحه عاصفة، وهذه الميزة الرمضانية تظهر بعبادات بدنية، ومالية، ومشتركة بينهما، وأخرى علانية، وسرية بادية الآثار، ولهذا فرمضان هو شهر القرآن، والانتصار، والصدقات، والمشروعات العظيمة.

ولا غرو أن يفعل رمضان ذلك، ولا عجب أن يفعل الأعداء ما فعلوه! أما رمضان ففيه وقع أعظم حدث وصل بين السماء والأرض، حينما تنزل جبريل عليه السلام بالكتاب العزيز على قلب النبي محمد ﷺ، فتغيرت الدنيا من ساعتها، وتحولت البوصلة إلى مكة وجزيرة العرب، وآلت النبوة ومعها الكتاب المقدس إلى غير اليهود الذين اعتادوا على هذه المنزلة العالية وذلكم الشرف الأسنى لأزمنة متطاولة متعاقبة، وصار من نتائج ذلكم الحدث أن خلدت اللغة العربية، وأصبح للأمة تاريخها الخاص، وتقويمها المنفرد.

لأجل هذا، تظافرت كتائب الأعداء، واليهود منهم بموضع مكين، واجتهدوا على تنغيص هذا الموسم وتلكم الفريضة، وما يراه الناس كل سنة من قديم الزمان هو من قبيل هذا المكر الكبار الذي يحاول زحزحة رمضان عن معانيه، وإزاحتها كلها أو بعضها، وقصرها على أشكال فارغة من المضمون أو غلبه، وصرفها إلى نواح اجتماعية، ومطبخية، وفنية، وغير ذلك من اللهو المباح والمستباح، ولا يظنن

ظان أنه أعقل الخلق حين يصم هذا الرأي بأنه نتاج التأثر بالمؤامرة؛ فالمؤامرة موجودة بمجرد سعي الناس لتحقيق مصالحهم، وفي مصالح الفرقاء ما يستوجب الإضرار بالأطراف الأخرىٰ سواء أكان الضرر مرادًا لذاته أو أتىٰ بالتبع.

لكن مع ذلك تظل الأمة بمجموعها صامدة، وأظهر ما يكون صمودها في شهر رمضان الطيب، حين يتقاطر الناس علىٰ المساجد للصلاة والذكر، ويزدحم الشباب في أماكنهم بالمساجد حتىٰ تمتلئ بهم المناطق المجاورة للجوامع والمساجد، ويغطىٰ سواد الحرائر العفيفات الشوارع وهن في صفوف متراصة وبحشمة شبه تامة، والكافة ينصتون لكتاب ربهم يتلىٰ بتحبير، وهو الكتاب الذي نزل في رمضان، وحفظ بأمر الله الحفيظ، وهو الكتاب الذي نزع عن يهود مقامهم الرفيع، وفضح اليهود والمنافقين والمفسدين حتىٰ باتت الشخصية اليهودية، وطبائع النفاق، وسمات المفسدين، واضحة للمتدبر بتتبع آي الكتاب العزيز.

كما أن هذا الشهر الجليل يمتاز باجتذابه للعباد والمنفقين والمصلحين في أول الشهر بمناسبة حرارة الاستقبال، وفي آخره بسبب قرب الانقضاء والوداع، بل إنه في آخره يمنح الموفق طاقة إيمانية تعينه علىٰ المضاء بقية عامه، وتعيده للجادة مهما حاد عنها، ويتأتىٰ هذا الحال من الابتهال والتأله في ليالي العشر الأخيرة، وتحري ليلة القدر، واهتبال فرصة ساعات تضيق الأرض من كثرة ملائكة الرحمن

عليها، ومعهم جبريل الروح الأمين الذي لم ينزل للأرض بعد وفاة النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام إلّا في تلك الليلة التي هي خير من ألف شهر، ويالها من ليلة تزيد في حب المسلم لربه ونبيه ودينه، وتؤكد له أن الله يحب التواب، ويفرح بالمنيب، وأن المغبون حقًا، وراغم الأنف صدقًا، هو من عبر به الشهر فلم يغفر له.

ثمّ حين يشارف رمضان علىٰ الوداع والنهاية، يلقي في روع كل مسلم أهمية الجماعة والاجتماع والمجتمع، فقد تساوىٰ الناس في الفطر والصيام وأحكامهما، وتشابهوا في شؤون رمضانية كثيرة، وزاد جود الأثرياء وعطفهم، وتكررت فرص الاجتماع في الحرمين والجوامع والموائد والأسر. وقبيل النهاية الحتمية يلتفت القادر إلىٰ العاجز كي يعطيه ويطعمه من زكاة الفطر، وبعد انقضاء الشهر تشرق الوجوه ببسمة العيد، ويفرح المؤمنون بيومهم السعيد بعد إكمال الطاعات، وبعد أن نالوا الفرحة الروحانية البالغة يومًا وراء يوم إبان شهر كامل منصرم علىٰ مائدة الإفطار، وحين يمضي رمضان يربط الناس ذكرياتهم وأحداثهم به قائلين: في رمضان، أو قبل رمضان وبعده، والارتباط الوثيق لا يكون إلّا مع محبوب مودته ثابتة ثبات الأصابع في الراحتين.

إنه شهر عظيم، يبين عن قدراتنا في التعبد وتنظيم الوقت، ويثبت أن الخلاص من الأخطاء أو تقليلها من الممكن المتاح، ويزرع في وجدان المسلم، وقلبه، وعقله، ذلكم الشعور العظيم الذي لا يباع

ولا يشترىٰ، ولا يمنح ولا ينزع، ولبابه أن الله قد اختص المسلم بدين قويم عريق مرتضىٰ من الرحمن، وجعل عبده وأَمَتَه فردًا واحدًا من أمة مسلمة لها جموع سبقت، وأعداد سلفت، مع آخرين يعاصرهم، وقادمين سيخلفونه، وهذا التعاقب والتزامن يشعره بالمسؤولية والسعادة، لأنه سيتضرع بالدعاء للذين سبقوه بالإيمان ولمعاصريه، وسوف يتلوه مؤمنون أوفياء يدعون له، فاللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ووفق من يحلّ بعدنا في هذه الدنيا لما تحب وترضىٰ.

الاثنين ٢٩ من شهرِ رمضان عام ١٤٤٥

٠٨ من شهر إبريل عام ٢٠٢٤م

أبواي ورمضان

أيُّ استهلال أجمل، وأيُّ إطلالة أبهى، من مجيء شهر رمضان المعظم؟! ثم إن ذلكم الجمال، وهذا البهاء، يزدانان بعد صادق التوبة وسنية التعبد، بذكريات دافئة مع الأسرة والمحيط القريب خاصة. كلما أعلن عن دخول الشهر الكريم؛ تداعت للذهن ذكرياتي الرمضانية مع أبويّ -رحمهما الله-، وكم وددت لو أنهما ثمّ أو حتى ثمت، وأنا بجوارهما وبين يديهما وتحت كنفهما، كالطفل ولو أني اكتهلت؛ والكهولة -يا قوم- ليست هي الشيخوخة!

كان الوالدان يستبقان دخول الشهر بصدقات عينية من الأطعمة للبيوت المحتاجة، وربما ذكّر أحدهما الآخر بمستحق من الأيتام والأرامل والفقراء، وفيما بعد استعانت الوالدة بمشروعات السلال الغذائية، والله يتقبل. وإذا اقترب الشهر يتحرى الوالد إعلان دخوله رسميًا، فيتابع المذياع، والتلفاز لاحقًا، ويفرح أشد الفرح بدخول رمضان، ويخبرنا بذلك. ويظهر أثر السرور والإشراق على الوالدة؛ مع أن شهر رمضان يعني المزيد من التعب للأمهات آنذاك؛ خصوصًا قبل ظاهرة العاملات التي لم تطرق البيوت فقط؛ بل سيطرت عليها بما يشبه الاحتلال، والله يصلح الأحوال. هذا مع أن أساس الخدمة والاستخدام لا بأس به، لكن ما يحتف به من إشكالات، وكسل

وتواكل وعجز، ومضاهاة، وربما مظالم، هي التي منها يُخشىٰ.

ثمّ بمجرد أن يعلن عن رؤية هلال شهر رمضان، يبدأ الوالد والوالدة بإجراء الاتصالات الهاتفية أو الزيارات للمباركة بالشهر الميمون، هذه الاتصالات والزيارات التي رأينا فيها معنىٰ الصلة ووعيناه، وعرفنا منها أهل ودادهم، ورأينا بالمقابل من كان وفيًا لهذه العلائق الوثيقة، ومن لم يرفع بها رأسًا. إن رمضان فرصة ثمينة لتجديد العهد، وردم الهوة، والتقارب والتصالح، وقد كان أبواي فيه من أسرع الناس للوصل الهادئ، وإشاعة السلام والمباركة، ونسيان أي إشكال.

وفي رمضان لا يفتر لسان الوالد عن ذكر الله، والدعاء، وزيادة تلاوة القرآن، والاستغفار في السحر علىٰ وجه أخص، لذلك يكره كثرة الكلام والضحك مع الفطور، أو عند حلول ساعة السحر، ويحثنا حثًا، ويحضنا حضًا، علىٰ اهتبال تلك السوانح وتلقي النفحات الربانية بالتضرع والاستغفار. ولم يكن كثير الأكل والشرب في هذا الموسم حسبما رأيت، فالقهوة والتمر علىٰ الفطور، ثم أخف عشاء ممكن له، وسحوره كأس من الحليب الساخن، وله وللوالدة فناجين قهوة كبير لا يستعمل في غير رمضان، وودت لو احتفظنا بها. وقد كان اجتهاد الوالدة بأصناف المطعومات والمشروبات لأجلنا نحن بالدرجة الأولىٰ، مع الإهداء للجيران، ولا أنسىٰ فرحتنا وهي تخيرنا بين الشراب الأحمر أو الأصفر، وغيرهما، والله يكتب أجرهما

علىٰ النفقة، وعلىٰ النَّصب والعناء في الإعداد.

كما يحرص الوالد مثل غالب الناس علىٰ إخراج زكاته في رمضان طلبًا لمضاعفة الأجور، وهو يعرف أهل الزكاة وأحوالهم، وتعاونه الوالدة في ذلك. مما أذكره أني ذهبت معه وأنا في الابتدائية، وطرقت الباب علىٰ بيت، فخرجت امرأة وسألتها: أنت فلانة؟ قالت: نعم، فأعطيتها المبلغ الذي معي، وبعد حين اتصلت امرأة بالوالدة مستغربة نسيانهم من الزكاة؛ فذهبت مع الوالد للبيت نفسه مرة أخرىٰ، وطرقت الباب ودخلت بعد أن فتحت لي المرأة، وسألتها عن اسمها، ثم طلبت منها كشف وجهها لأراها ففعلت، وكانت غير المرأة السابقة، فدفعت لها المال، وقد تعجب والدي ووالدتي وجدتي من جرأتي علىٰ طلب سفورها، مع أني طفل لم أجاوز الثانية عشرة من عمري، وهي تسير نحو الشيخوخة، وقريبة جدًا من وصف القواعد، ومن عجبهم آنذاك استغربت!

ومرة ذهبنا في الظهيرة إلىٰ ناحية من نواحي البادية، للبحث عن رجل هرم مسن، وحين أعطيته المبلغ، ورجعت للوالد الذي ينتظرني، لحقني قعود أوضح -أي جمل صغير أبيض اللون ما أحسنه مقطعًا في الثلاجة- فهربت منه وهو يلحقني في مشهد مضحك لو كان مصورًا، حتىٰ نزل الوالد من السيارة، وهرع الرجل المسن، وآخرون؛ فأمسكوا بالقعود ونجوت. كذلك أعطاني الوالد مبلغًا كبيرًا من المال زكاة أوصلها لرجل افتقر وركبته الديون، والوالد متحرج من فعل

ذلك بنفسه حفظًا لمكانة الرجل، فذهبت له، وسلمت عليه، وأعطيته المال دون أن أقول شيئًا، أو أن ينبس هو ببنت شفه.

مما لا أنساه أن الوالد تعرض لمرض قلبي شديد في فجر الثاني عشر من شهر رمضان عام ١٤٠٤= الحادي عشر من شهر يونيو عام ١٩٨٤م، وقد أدخل علىٰ أثره في المستشفىٰ، وظلّ منومًا إلىٰ يوم السابع والعشرين منه. وخلال هذه المدة التي قضاها في المستشفىٰ، توفيت شقيقته الكبرىٰ "لولوة" فجأة بعد أن بلغها نبأ ما أصاب أخيها البار والسند القوي لها، وحين بلغ للوالدة خبر وفاة العمة المحبة - رحمهم الله- فقدنا مولودًا منتظرًا، ولم يعلم الوالد عن هذه المصائب إلّا عقب خروجه، والله يكتب لهما الأجر المضاعف والمثوبة البالغة. وعندما توافد بعض الزوار لعيادة الوالد أصر علىٰ إقامة ولائم الإفطار لهم، وهو في المستشفىٰ. وللوالد مع الولائم والمآدب تاريخ، حتىٰ أنه يجتهد في بعضها اجتهادًا لافتًا مثل مناسبة صباح عيد الفطر كل سنة.

وبعد أن خرج الوالد من المستشفىٰ أصر الطبيب عليه أن يصلي في البيت، وأصر هو أن يصلي في المسجد مع الجماعة، وكان الحل الوسط بينهما أن يصلي في المسجد، ويمشي معه رفيق من المنزل للمسجد والعكس، ورزقني الله شرف هذه الصحبة والمكوث في المسجد التي تعلمت فيها الكثير، وسأكتب عنها لاحقًا بحول المولىٰ. ومما يرتبط بذكرياتي الرمضانية مع أبويّ، أنني كنت حريصًا

علىٰ الصيام كي أصبح مع زمرة الكبار، وهما يرفقان بي لطول النهار، وشدة الحر، وصغر السن نسبيًا؛ فافتعلت قصة غير حقيقية ليفهما منها أن الصيام واجب عليّ، وبناء علىٰ نجاح خطتي أذنا لي بالصيام قبل وقتي المفترض، والحمد لله.

إن الأبوين مثل العمر، ما ذهب منه لن يعود، وما أحرىٰ من يقرأ بأن يستثمر أيامه كلها، وأيامه المنيفة اللذيذة مع والديه، فهي أوقات ستمضي ولن ترجع، وقد لا يبقىٰ منها سوىٰ الذكريات أو بعضها. غفر الله لأبويّ وأبويكم وجميع موتىٰ المسلمين، وبلغنا وإياكم رمضان علىٰ خير وسعادة وألفة واجتماع. والله يكتب لنا ولكم التوفيق فيه والقبول، كي نزداد من الصالحات والقربات، ونفوز بالغفران والجبران؛ فسيأتي زمن ولا محالة، نغدو فيه من الذكريات، هذا إن بقي أحد يذكرنا!

الأحد ٢٤ من شهرِ شعبان عام ١٤٤٦

٢٣ من شهر فبراير عام ٢٠٢٥م

العيد الأصيل يتألق

يجزم فئام من ذواقة الشاي الذين تركوا شربه بعد إضافة السكر إليه أنهم وجدوا الطعم الحقيقي لمشروبهم المفضل واكتشفوه طبيعته الأساسية بعيدًا عن المحسنات التي سيطرت علىٰ لذة الطعم الأصيل حتىٰ أخفته، ولذلك أصبحوا لا يستسيغون شربه بمضافات تغيّر طعمه أو رائحته أو لونه، وهو رأي لا يوافقهم عليه جمع ممن لا يستطعمون الشاي بغير الزيادات تلك، والأمر واسع، فالشاي لذيذ عريق بحد ذاته، وربما تزداد لذاذته إذا كانت الإضافة إليه مناسبة وبمقدار.

أسوق هذا المثال بعد أن قُضي الأمر، إذ سيكون عيد الفطر المبارك عام (١٤٤١) مختلفًا عما سبقه من أعياد بسبب الاحترازات الاحتياطية الوقائية من جائحة كورونا، فهو عيد غير مسبوق عند عامة الناس بما فيه من انقطاع عن الاجتماعات، والاحتفالات، وصنوف الملابس والمطاعم، وغيرها من مظاهر الفرح التي لا بأس بها في أصلها المباح، بل هي مطلوبة لأن عيدنا يوم فرح وجوائز وسعادة.

لأجل ذلك يناسب أن نعود إلىٰ أصل العيد لعلنا نمسك بمعناه الباسق، ونسترجع حكمته الشرعية، فنفهم المراد من هذا اليوم الجميل، يوم الزينة والبسمة، ومظهر القوة والاستعلاء، وموسم

الاجتماع والفرحة، وموئل اللُحمة والرحمة، عسىٰ أن نقتبس من هذه المفاهيم في عيدنا السعيد ولو كانت الأحوال غير معتادة، فإن أساس العيد أن تفرح القلوب بإتمام طاعة الله، وإكمال شهر الصيام، وتملأ البهجة الوجوه، ويعلو التكبير وذكر الله مرضاة لمولانا، فالله أكبر كبيرًا، وما سواه فصغير مهما تشامخ.

كما أن هذا اليوم الشرعي العظيم موسم تعبدي تطيع فيه أمة الإسلام ربها، وتتبع سنة نبيها، وهو نموذج شرعي جدير بالمسلمين أن يحموه من محاولات التحطيم أو التشويه، وأن يستغنوا به عن شهود الزور وأعياد التلبيس والبهتان حتىٰ تنكسر في نفوسهم قوالب ثبتت في أركان الحياة بقوة أهلها وهي ليست من شأننا، فمن سمو عيدنا أن معانيه تحضر معه كل مرّة حضورًا حقيقيًا، فهي ليست مثل غيرها مجرد ذكرىٰ قد زال أصلها وبقيت منها أطلال بحسب ما يقع في النفوس من وفاء وتقدير.

كذلك تفيدنا هذه النازلة الجديدة علىٰ موسم العيد بأهمية الأسرة، والعائلة، والوطن، ففي أزمنة سابقة كان العيد فرصة عند البعض للسفر والابتعاد عن الأهل والمرابع، مع أن سمة العيد التقارب والتزاور والالتصاق بالمكان إنسانًا وثقافة وموضعًا، وترك الصوارف التي يمكن تأجيلها دون ضرر، ولعلّ هذا الدرس الإجباري أن يوقفنا علىٰ طعم العيد والسرور بجوار شركاء الدم والمكان والنسب، وعسىٰ أن تصير أعيادنا مناسبة نلم فيه شعثنا

المتفرق في أطراف الدنيا وشؤون الحياة.

بينما تفرض قلة الحركة أيام العيد الإفادة القصوى من وسائل التواصل حديثها وقديمها، لأداء واجب، أو تجديد عهد، أو نسيان ماض، أو صفح وعفو عما كان كيفما كان، أو ابتداء صفحة نقية، فما يدري الناس عن الغيب وتقلباته، ومن الخير لنا جميعًا أن نغمس قلوبنا في نهر العفو، ونسكب على ألسنتنا أجود أنواع العسل؛ فالكلمة الطيبة لا تضر، ولا تكلف شيئًا، وهي منة من رب العالمين على جميع ساكني الجنة، ومن الهناء أن نحوز نصيبًا منها في الدنيا، وفي العيد الذي يشبه الجنة سانحة لاكتسابها لما ينبعث في النفوس من صفاء، وفي الأذهان من نقاء.

وفي هذا العيد الجديد مزية حين ندرك أثر المعنى من العيد، فالعيش بحياة ذات معنى تحول دون القنوط واليأس، وأعظم معانيه أن نفرح بالإسلام فنرضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد -ﷺ- نبيًا ورسولًا، ثمّ الفرحة بعد صحة الدين وتصحيح المفاهيم بالأمن في الديار والأوطان، وبالسلامة في الأبدان، ومنها فرحة تلو فرحة بدفء الأسرة، وعناية القرابة، وترابط الجيران، والتئام الشمل، وعسى أن تستدعي هذه الأفراح أخواتها، فنحيا بفرح يغمر القلوب، ويظهر على الوجوه، وتلهج بحمد الله عليه الألسنة والجوارح الطائعة.

أيضًا يتجلى سمو العيد في نشر مشاعر الأنس عند الكافة دون استثناء، فإذا شئت قياس فرحة أيّ مجتمع بأعياده فانظر إليه في بهجة

الطفل، وأنس الوحيد، وانشراح الكبير، وغنىٰ الفقير، ونشاط العاجز، وتكاتف الكتل والجموع، واندماج الغريب، والتغاضي مع شيوع التغافر، فإن المعاني القلبية أعظم في ديننا مما يظهر علىٰ الجوارح، وهي الباعث الصادق لما يبدو من المرء، فإن معاني العيد داخل النفوس تجعل مظاهره الجليّة عامة عند الضعيف، والصغير، والفقير، والغريب، والنائي، وكل ذي كسر يجبره العيد، فقيم العيد أسمىٰ من قيمة العيدية، وأنفس من ثمن الملابس والحلوىٰ والألعاب.

هذه معاني مشتركة يقدر عليها العامة غالبًا، وتصنع من عيدنا عاملًا مؤثرًا يعيدنا لأصولنا المعتبرة، وقيمنا النبيلة، وأصالتنا التي نفاخر بها، بيد أن الكبير في مقداره وقدراته ينتظر منه أن يكون كبيرًا في آثاره وبركاته، ولربما أن الله يلهم كبراء المجتمعات بجعل فرحة من دونهم مضاعفة، بخير يعم، وشر يزول، وغائب يعود، وأزمة تنفرج، واطمئنان يسود، وغيرها مما يفتح الله به علىٰ من يستطيع من آباء، وكبار الأسر، وشيوخ القبائل، وأثرياء المجتمعات، ووجهاء المدن، وزعماء الدول، ومن نظر بعين الرحمة أو الحكمة فلن يسعه إلّا أن يفعل، ليكون العيد عيدين أو عيد الأعياد جميعها.

الخميس ٢٨ من شهرِ رمضان المبارك عام ١٤٤١

٢١ من شهر مايو عام ٢٠٢٠ م

يوم من الجنّة علىٰ الأرض!

الجنّة منتهىٰ آمال عباد الله المحسنين والمقصّرين، وما أجملها من موضع بأنهارها وأشجارها وثمارها وأطايبها، وما أكمل طريقة الحياة فيها وأخلاق أهلها، وفوق ذلك كلّه نوال رضا الرّحمن، والفوز برؤيته، والظّفر بإحسانه وزيادة، فيا ربّ لا تحرمنا ووالدينا ومن يقرأ وينشر، وبلّغنا بجودك ذلكم المكان، وأورثنا فيه من لدنك مقامًا عاليًا بفضلك وعفوك.

فتلك الجنّة ميراث عباد الله الصّالحين، الماضي فيها يذهب للنّسيان، والمستقبل مضمون، والحاضر جميل لا يوصف، والعنف ممتنع داخلها، والحقّ محبوب الجميع، والتّنازع مفقود، والحواس تحت التّحكم التّام، ولا غلّ فيها، ولا حسد، ولا جشع، فلا التهاء بالتّكاثر، ولا تقاطر علىٰ المصالح بتشاحن وتدافع، فيضحي الجميع إخوانًا علىٰ سرر متقابلين.

أمّا الأرض فمجمع الأحقاد والثّارات والعداوات، تختلط حوادثها ما بين خير وشر، ويكثر فيها الكدّ والكبد والنّصب، وقلّما يرضىٰ أحد فيها دومًا، وجلّ بنيها يشكون دهرهم، ويتأفّفون من طباع أكثر البشر التي تشاكل سلوك الغابات، وتقبس من مكر الشّياطين؛ وأيّ هناء في عيش مع أناس نصف أخلاقهم وحشيّة، ونصفها الآخر شيطانيّة، وقليل من سلم أو تباعد عن هذه الخِلال.

فإذا جاء العيد اختلفت الأحوال، فمن خصائص هذا اليوم العظيم ربط اسمه بالسّعادة والبركة، ووصفه بأنّه يوم الجوائز أو يوم الحج الأكبر، وفيه تسود أخلاق كانت قبله شحيحة أو مقصورة علىٰ محيط دون غيره، فيصبح غالب النّاس مبتسمين، مسارعين للتّسامح، مستعدّين للتّعايش، تملأ محيّاهم البشرىٰ، وتبرق عيونهم بالألفة، ولا تسمع الأذن إلّا ناعم الخطاب من الألسنة، ومضمونه كلمات صادقة عذبة، أو جارية في سياق المجاملة واللّطف.

ويغدو العيد سعادة تعمر القلب، وأملًا تُشرق به النّفس، ورَوْحًا تسمو الرّوح به، وبهجة تكسو المظهر، وفألًا يرسم المستقبل، وفرحًا يسود في المجتمع، وتبدو أجمل معانيه في طفل يبتسم، ويتيم يأمن، وفقير يكتفي، وغريب يأنس، ووحيد يُشارك، وغائب يعود، وحاجات تُقضىٰ، ومختلفين يتصالحون، وفرقاء يلتقون، وقادر يعفو، وعلاقات تزدهر بعد أن باتت تقتات علىٰ أصولها، وما ذلك علىٰ الله بعزيز، فهو الذي شرع العيد، وهو القدير الحكيم؛ وكلّ يوم له شأن.

وحتىٰ يكون العيد كذلك، فلا مناص من وجود كبير أو أكثر في الأسر والمجتمعات، كبير بعلمه، أو كبير بحكمته، أو كبير بجاهه، أو كبير بسلطانه، أو كبير بماله، أو كبير بقدراته ومواهبه، فيصنع من هذا اليوم فرصة لاختصار أزمنة طويلة، وتقصير مسافات بعيدة، وردم حفر كثيرة، وتلكم سيما عراقة الإنسان والمكان، والمسألة تحتاج لمن يشاور ثمّ يعزم ويتوكل علىٰ الله صابرًا محتسبًا، وما أحسن ترافق

التّكبير للعيد مع التّبكير للمحبة والعفو.

ولأنّ عيدنا أهل الإسلام يتميّز بأنّه حقيقي وليس مجرّد ذكرىٰ؛ بمعنىٰ أنّه يرتبط بمواسم فعليّة تتكرّر بذاتها سنويًا عقب أداء ركن الصّيام في شهر رمضان، وخلال أداء ركن الحج، وليس اجترارًا لأمر حدث فيما مضىٰ ثمّ انقضىٰ، فلم يبق منه سوىٰ حكايات عالقة بقدر مختلف في الوجدان، فإنّ هذه المزيّة تنشر قوّتها علىٰ المشاعر فيه؛ فتجعلها حقيقيّة وإن بنسب متفاوتة، ذات آثار أكيدة تدفع كلّ كبير للاستعداد، وتهيئة الحال لاستثمار المناسبة علىٰ الوجه الأكمل، وكم ترك الأوائل للأواخر من أمجاد وأفكار.

ومن التّوفيق أن نستصحب جمال العيد معنا قدر المستطاع، ونتغلّب علىٰ الجبلّة وضغط الواقع، وعلىٰ العقلانيّة التي تقتضي مقابلة السّوء بمثله، فنتعالىٰ عليها بالخلق القويم، وتطوير العادات السّامية، وفي يوم الجمعة فرصة أسبوعيّة لتثبيت معاني العيد، ولو بمقدار أقلّ، فمن يرفض العيش في ظلال يوم فيه شيء من الجنّة وبركاتها علىٰ الخلق والبقاع، وأيّ شقاء يجنيه بنو أبينا الشّيخ الكبير آدم عليه الصّلاة والسّلام حين تفوت عليهم هذه الفرصة المكسوّة بفيوض من عطاء الكريم الوهّاب بسبب عزّة آثمة أو كِبر بغيض؟

ليلة الأحد ٢٨ من شهرِ رمضان المبارك عام ١٤٤٠

٠٢ من شهر يونيو عام ٢٠١٩م

العيد: لُحمة ورحمة

العيدُ يومٌ جديدٌ يُفيضُ علىٰ الحياةِ معنىً جديداً لمْ يكُ حاضراً فيها منْ قبل، فالعيدُ يومٌ واحدٌ يختلفُ عنْ باقي الأيَّام؛ وزمنٌ قصيرٌ قدْ يُقضىٰ فيه مالا يكونُ في عمرٍ طويل، وهذا منْ فضلِ اللهِ علىٰ النَّاسِ يومَ شرعَ لهم الأعياد، وجعلَها موضعَ اتفاقٍ بينهم.

وهي أعيادٌ شرعيةٌ تجيءُ بعدَ مواسمَ فاضلةٍ فيها البركاتُ والرَّحماتُ؛ فما أعظمَ فضلَ اللهِ علىٰ عبادِه؛ حينَ جعلَ توديعَهم للمواسمِ في يومي عيدٍ لا مثيلَ لهما؛ فقدْ جاءا بوحيٍ ربَّاني علىٰ النَّبي الخاتمِ -ﷺ-، ولذا اتَّصلا بالسماءِ في معانيهِما الجميلةِ، واتَّصفا بخيرٍ مشهودٍ للفردِ والمجتمع.

ولأنَّ العيدَ يحوي كثيراً منْ القيمِ النبيلةِ يفرحُ بهِ الجميع؛ فلكلِّ واحدٍ فيه مطلبٌ وأمنيةٌ يسعىٰ في تحقيقِها اقتباساً منْ خيراتِه، غيرَ أنَّ أسمىٰ المطالبِ ما كانَ خالصاً لوجهِ الله، ونافعاً للكافَّةِ دونَ تحجيرٍ علىٰ رغباتِ الأفرادِ مادامتْ شرعيةً ومقبولة؛ إذْ لا يخلو فكرٌ منْ غايةٍ ولا تنفكُّ نفسٌ عنْ بُغية.

ومنْ المعاني التي يأتي بها العيد: معنىٰ اللُّحمةِ والوحدةِ، وشعورِ الجسدِ الواحد؛ فكمْ نحنُ بحاجةٍ للتَّلاحمِ علىٰ مستوىٰ الأمَّةِ الكبيرةِ، وعلىٰ مستوىٰ الأقطارِ المختلفةِ فما دونها، ومنْ أعظمِ صورِه أنْ

يكونَ المرجعُ الأعلىٰ للتَّحاكمِ وحلِّ الخلافاتِ واحداً، ومنْ اللُّحمة أنْ لا يبخسَ الحاكمُ حقوقَ شعبهِ، وألاَّ يتكاسلَ الشَّعبُ عنْ أداءِ حقوقِ ولاةِ الأمرِ والأمَّة.

ومنها فتحُ البابِ والقلبِ والعقلِ لأيِّ رأيٍ سديدٍ، أوْ قولٍ وجيهٍ، بلا تثريبٍ أوْ عقاب، وألاَّ تُظلمَ فئاتٌ بسببٍ إقليمي، أوْ اجتماعي، أوْ طائفي، معْ مراعاةِ أحكامِ الشريعةِ ومقتضياتِ المصلحةِ العامَّةِ، وما أجلَّ تعميمَ الحرصِ علىٰ وحدةِ الصَّفِ بمقتضىٰ الشريعةِ المطهرة، وأيُّ حلمٍ لذيذٍ ذاكَ الذي يقودُ لتوحيدِ المجاهدينَ في البلدانِ المحتلَّةِ، تحتَ رايةٍ شرعيةٍ واحدةٍ، ولغايةٍ ساميةٍ مشتركةٍ؛ تتلَّخصُ في طردِ المعتدي وتحكيمِ أمرِ الله، وما أجملَ أنْ يصيرَ العيدُ يومًا لرأبِ صدعِ الأسرِ، وإصلاحِ ذاتِ البينِ، وإعادةِ معنىٰ السكنِ لحياةِ الزَّوجيةِ المتعثِّرة.

ومن معاني العيد: معنىٰ الرَّحمةِ والرِّفق، وما أسعدَ المجتمعَ إذْ يتراحمُ أهلُه، فكمْ بيننا منْ فقيرٍ ومعوزٍ لا يجدُ قوتَ بعضِ يومهِ، ولا يعرفُ جوابًا يسكتُ بكاءَ صغاره؛ وبالرَّحمةِ الفطريةِ لا يبقىٰ علىٰ ظهرِها فقيرٌ يتضوَّرُ وفينا مَنْ يعيشُ في بحبوحةٍ باذخةٍ؛ لا يمكنُ تصوُّرها فضلاً عنْ تصويرِها، وفي مجتمعِ المسلمينَ أيتامٌ فقدوا العائلَ بحنانِه ونصحِه وحدبه؛ ومعْ ما للمؤسساتِ المعنيةِ منْ جهودٍ مباركةٍ، إلاَّ أنَّ كفالةَ اليتيمِ ورحمتَه والإحسانَ إليه وجبرَ كسرِه فضائلُ نعرفُها لكنَّنا قدْ ننساها علىٰ أرضِ الواقع.

وفينا أراملُ ومطلَّقاتٌ ينهشُ الوقتُ نضارتهنَّ، وتقتلُ أنظارُ النَّاسِ البقيةَ الباقيةَ منْ سعادتهن، ومعْ كثرةِ جمعياتِ الزَّواجِ وعظمِ بركتِها إلاَّ أنَّ الالتفاتَ لهذينِ الصنفينِ منْ النِّساءِ معدومٌ أوْ محدودٌ، حتىٰ باتا نهبًا لغيرِ الجادِّينَ منْ الرِّجالِ، في سوقِ التجرِبةِ وموتِ المروءة، وفي السجونِ والمعتقلاتِ أناسٌ حُرموا فرحةَ العيدِ وأنسَ القربِ منْ الأهل؛ حيثُ تمنعُ القضبانُ البهجةَ منْ الزِّيارة؛ ويزحفُ اليومُ علىٰ المظلومِ منهم بتثاقلِ كليلٍ طويلٍ لمْ ينجلِ بصبحِ عدلٍ، أوْ فجرِ شهامة.

وليسَ للعيدِ مذاقٌ بلا وحدةٍ ولحُّمة؟ وأيُّ جمالٍ لعيدٍ بلا تسامحٍ ورحمة؟ ومنْ خيرِ التَّلاحمِ ما ترعاه وسائلُ الإعلامِ والتوجيه؛ فهلْ ستنضجُ منابرُنا الثقافيةِ لتعينَ علىٰ الاتحاد؟ وهلْ سنرىٰ يداً "تشترىٰ حسنَ الثناءِ بفعالها" تعيدُ للإعلامِ توازنَه، وترحمُ مجتمعنَا ممَّنْ يحاولُ تجريدَه منْ دينهِ وتبديلَ قيمهِ وتشطيرَ أهله؟ وهلْ سنعيشُ تلاحمًا شعبيًا ورسميًا في سبيلِ إشاعةِ معاني الرَّحمةِ واللُّحمةِ في المجتمعِ؛ حتىٰ لا تقومَ قائمةٌ للسوءِ أيًّا كانَ لبوسه؛ وحتىٰ ننعمَ بثمارِ دعوةِ نبي الله إبراهيمَ، دونَ إفسادِ مجاهرٍ، أوْ تنغيصِ غالٍ، أوْ غوايةِ وسيلةٍ، أوْ غثاثةِ مرجف؟

ألا يكونُ فينا رجالٌ ونساءٌ، يحملونَ همَّ المجتمعِ في كلِّ طبقاته وفئاته ؛للإصلاحِ والبناءِ والتطويرِ، ولو طالَ الزَّمانُ وتطاولَ الباطل، فللحقِّ دومًا بعدَ الخفوتِ ظهورٌ وبعدَ الذَّهابِ أوبة، وليسَ بعزيزٍ

علىٰ الله أنْ يرتقي العملُ الاجتماعيُ المباركُ؛ ليدخلَ كلَّ حيٍّ وحارةٍ وبيتٍ، حاملاً معه بذورَ الرَّحمةِ وجذورَ اللُّحمةِ؛ لننطلقَ إلىٰ أفقٍ رحبٍ من العملِ والتَّصحيحِ.

الجمعة ٢٨ من شهرِ رمضانَ الكريمِ عام ١٤٣٠





العيدُ: اجتماعٌ وفرحة

يستقبلُ المسلمونَ في كلِّ مكانٍ أعيادَهم الشرعيةَ جذلينَ فرحينَ بطاعةِ اللهِ وإتمامِ العباداتِ سائلينَ اللهَ قبولَ صيامٍ وقيامِ رمضانَ وأعمالِ عشرِ ذي الحجةِ في مظهرٍ يعزُّ مثيلُه في الأممِ الأخرىٰ التي تحتفلُ بأعيادٍ بشريةٍ غيرِ إلهيةٍ ترتبطُ بأشخاصٍ أوْ أسرٍ أوْ تحيي ذكرىٰ قصصٍ خرافيةٍ أوْ كهاناتٍ وحكاياتِ حبٍّ خادشةٍ للحياء. وأعيادُنا مليئةٌ بالفرحِ والسرورِ ولا مكانَ للحزنِ فيها خلافًا لبعضِ الأممِ كالأعيادِ الجنائزيةِ لدىٰ الفراعنةِ وكعيدِ الغفرانِ اليهودي في الثامنِ منْ أغسطس وهوَ يومُ حزنٍ وبكاءٍ علىٰ حائطِ المبكىٰ ومثلِ عيدِ تشينغمينغ الصيني الذي يجمعُ بينَ الحزنِ والفرحِ؛ حيثُ يزورُ أبناءُ قوميةِ هان وبعضُ الأقلياتِ القوميةِ قبورَ موتاهم ثمَّ يستمتعونَ بجمالِ الربيع؛ فالحمدُ للهِ الذي جعلَ عيدَنا يومَ زينةٍ وبسمة.

وليسَ لأعيادِنا صلةٌ قريبةٌ أوْ بعيدةٌ بقتلِ الإنسانِ وتهجيرِه وإفسادِ الأوطانِ وتدميرِها كما في عيدِ الشكرِ الأمريكي الذي تحتفلُ بهِ الأمةُ الأمريكيةُ في رابعِ خميسٍ منْ شهرِ نوفمبر كلَّ عامٍ وتأكلُ الدِّيكةَ الروميةَ لتتذكرَ جرائمَها الوحشيةَ وإبادتَها للهنودِ الحمرِ في حكايةٍ جديرةٍ بأنْ تكونَ وصمةَ عارٍ وخزيٍ لا موسمَ احتفالٍ ولا عطلةً رسميةً أوْ ملتقىً بهيجًا للعائلةِ الأمريكيةِ يندرُ مثيلُه علىٰ مدارِ السنة؛

فـأيُّ فطـرةٍ تلـكَ التـي تحتفـلُ بقتـلِ مئـةِ مليـونِ إنسـانٍ وسـلخِ فـراءِ رؤوسِـهم وتخريـبِ ديـارهم[1]؟ ولـدىٰ اليهـودِ عيـدُ الأبـوريم الـذي يجـبُ علـىٰ اليهـودي فيـهِ السـكرُ حتـىٰ الثمالـةِ ويُسـمَّىٰ أيضـًا عيـدُ التماثيـلِ المضـحكةِ لأنَّهـم يصـنعونَ تماثيـلَ مـنْ القـشِ لمـنْ يـرونهم أعـداءً ويعلِّقونهـا في المشـنقةِ بطريقـةٍ هزليـة تفضـحُ نفسـيةَ القـوم! فالحمـدُ لله الذي سلَّم أفراحنَا من الجنايةِ ليكونَ عيدُنا خيراً وسلاما.

وأعيادُنـا نحـنُ أهـلُ الإسـلامِ فرصـةٌ للاجتمـاعِ علـىٰ عـدَّةِ مسـتويات؛ إذْ تجتمـعُ الأمـةُ علـىٰ انتظـارِ العيـدِ وفي الاسـتعدادِ لـه؛ وتضـجُّ المسـاجدُ والأمـاكنُ بـالتكبيرِ والتهليـلِ قبلَـه؛ ويشـتركُ النَّـاسُ في لـبسِ الجديـدِ خلالَـه وفي التهـاني والبسـماتِ يومَـه؛ ويـؤدي المسـلمونَ الصـلاةَ في صـباحِهِ البـاكرِ بمنظـرٍ مهيـبٍ تخـرجُ لـهُ الأمـةُ برجالِهـا ونسـاءِها وأطفالِهـا ملتزمـةً بالضـوابطِ الشـرعيةِ في منعِ الاخـتلاطِ بـينَ الجنسـينِ والفصـلِ بـينَ الـذَّكرِ والأنثـىٰ في المحافـلِ والمجـامع؛ وفي كـلِّ هـذا رسـالةٌ صـريحةٌ للمصـلحينَ مفادُهـا أنَّ هـذهِ الأمـةَ لا يجتمـعُ شـتاتُها ولا يلتـئمُ أمرُهـا إلاَّ علـىٰ كتـابِ اللهِ وسـنَّةِ رسـولِهِ -ﷺ-، وفي هـذا المعنـىٰ الكبيـرِ الشـريفِ تنغـيصٌ علـىٰ المجـرمينَ الـذينَ يريـدونَ تفريـقَ الأمَّـةِ المحمَّديـةِ وبعثـرةَ شـؤونِها والعبـثَ بتأريخهـا وقواسـمِها المشـتركة، فالحمـدُ للهِ الـذي أبقـىٰ أعيادَنا رمزَ قوةٍ واستعلاءٍ ووحدة.

---

(١) للمزيـد حـول هـذه الفضـيحة ينظـر: كتـاب أمريكـا والإبـادات الجماعيـة (حـق التضـحية بالآخر) لمنير العكش.

ومنْ أعظمِ مزايا عيدي الأمةِ الإسلاميةِ وضوحُ البعدِ الاجتماعيِ فيهما؛ فقدْ فرضَ اللهُ زكاةَ الفطرِ قبلَ يومِ الفطرِ وسنَّ النبيُ الكريمُ - ﷺ- إهداءَ ثلثِ لحمِ الأضحيةِ للفقراءِ يومَ الأضحىٰ؛ واعتادَ أغنياءُ المسلمينَ علىٰ إخراجِ زكواتِهم وصدقاتِهم في شهرِ رمضانَ وعشرِ ذي الحجةِ طلبًا لمضاعفةِ الأجرِ واغتنامًا لفضلِ الزمانينِ وإغناءً لفقراءِ المجتمعِ عنْ ذلِّ السؤال. وقدْ يختفي المعنىٰ النبيلُ للعيدِ إنْ لمْ يسعَ الفردُ لإسعادِ غيرهِ وجلبِ الفرحِ والسرورِ لنفوسِ الآخرينَ بدءاً بالعائلةِ الصغيرةِ فالأسرةِ الكبيرةِ مروراً بالجيرانِ والأصدقاءِ دونَ إغفالٍ لفقراءِ المجتمعِ وأراملهِ وأيتامه، وقدْ درجتْ بعضُ العوائلِ الكريمةِ علىٰ استضافةِ أطفالٍ أيتامٍ في احتفالِها بالعيدِ ليشاركوهم الفرحةَ ويعوضوهم عنْ غيابِ أهلِهم؛ فالعيدُ لليتيمِ المحرومِ يصدقُ عليهِ قولُ الشاعرِ المصري عبدِ الرحمن شكري:

إذا جاءه عيدٌ منَ الحولِ عاده   منْ الوجدِ دمعٌ هاطلٌ ووجيب
كأنَّ سرورَ النَّاسِ بالعيدِ قسوةٌ   عليهِ تُريقُ الدَّمعَ وهو صبيب

وفي العيدينِ فرصةٌ مواتيةٌ لابتداءِ الملتقياتِ العائليةِ وحلِّ الخلافاتِ الأسريةِ وإصلاحِ ذاتِ البينِ؛ إذْ العيدُ زمنُ التسامي عنْ الحقدِ والتحررِ منْ الأنانيةِ وتجاوزِ المصالحِ الفرديةِ؛ فالحمدُ للهِ الذي شرعَ أعيادَنا موسمًا للرحمةِ والتآلف.

والعيدُ يومٌ جديدٌ تشرقُ شمسُه الجميلةِ علىٰ بلادِ المسلمينَ وقدْ تجدَّدَ النَّاسُ في ملابسِهم وعاداتِهم وكلامهم بلْ وفي نفوسِهم التي

خرجتْ منْ أوزارِها ترجو الفوزَ والرضوانَ وفي أرواحِهم المتعلقةِ بنفحاتِ اللهِ في الموسمِ المنصرمِ؛ وما أجملَ أنْ يدخلَ العيدُ على المسلمِ وقدْ اقتبسَ جذوةً منْ بركاتِ رمضانَ أوْ عشرِ ذي الحجةِ فغدا إنسانًا جديداً في تعاملِه معْ ربهِ ومعْ نفسهِ ومعْ أهلِه ومجتمعِه وزملائه، وما أرقَّ مَنْ جعلَ العيدَ يومًا لتجديدِ علاقتِه بزوجاتِه ومؤانسةِ بنيهِ والتوسعةِ عليهم بالمعروفِ ومسامحةِ زملائِه وخدمةِ مجتمعِه الصغيرِ والكبيرِ؛ وما أحسنَ خلقَ مَنْ صيَّرَ العيدَ فرحةً مضاعفةً للأطفال، فالحمدُ لله الذي جعلَ منْ العيدِ يومًا للتجديدِ والتسامي.

وحينَ ينتهي العيدُ وتمضي أيامُه الأنيسةِ يظلُّ في وجدانِ المسلمِ وشعورِه حنينٌ للعيدِ الكبيرِ والفوزِ العظيمِ برضوانِ اللهِ ورؤيةِ الرَّبِ جلَّ جلالُهُ ودخولِ أعلى جنانِه؛ فذلكَ اليومُ هو عيدُ الأعيادِ كلِّها؛ ففيهِ السرورُ والحبورُ والبسمةُ والمباهجُ والمسرَّاتُ وما لا يخطرُ على قلبِ بشرٍ؛ ونسألُ اللهَ أنْ يبلِّغنا هذهِ الفرحةَ وتلكَ البهجةَ فإنَّ للمؤمنِ عيداً ينتظرُه كما قالَ الشاعرُ الكويتيُ يوسفُ القناعي:

خرجَ النَّاسُ يومَ عيدٍ وراحوا رافلينَ بزينةٍ وسرورِ
وأرى العيدَ في رضى اللهِ عنِّي فهو عيدي وبهجتي وحبوري

فاللهمَّ بلغنا ذلكَ الموضعَ الطاهرَ ونحنُ نحمدُكَ على النِّعمةِ بتمامِ الصالحات؛ والحمدُ للهِ الذي هدانا لهذا بفضلِه وكرمه.

الثلاثاء ٢٣ من شهرِ رمضانَ الأغرِّ عام ١٤٢٩

العيد: رمزُ القوةِ والاستعلاء

العيدُ مظهرٌ خاصٌ لكلِّ أمة؛ فكما تختلفُ الأممُ في مللِها وعاداتِها تختلفُ تبعًا لذلك في أعيادِها ومواسمِ الفرحِ والزينةِ وأيامِ البهجةِ والأُنسِ بما يحققُ الاستقلاليةَ للشعوبِ حتىٰ لوْ كانتْ واقعةً تحتَ نيرِ الاحتلالِ كما نراه في أقطارِنا المسلمةِ المبتلاةِ بالعدوانِ الصليبي. والعيدُ أيامٌ تعودُ في ذاتِ الزمانِ منْ كلِّ عامٍ وسنة؛ وهي في ديننا مقصورةٌ علىٰ الفطرِ والأضحىٰ كعيدينِ سنويينِ وعلىٰ الجمعةِ عيدنا الأسبوعي العظيم.

ومن لوازمِ العيدِ ومقتضياته الفرحُ والاجتماعُ والزينةُ والتلذذُ بالمطاعمِ والمشاربِ والتوسعةُ علىٰ الأهلِ والجيرانِ والشعوب والانسلاخُ من الثاراتِ والإحن، ومنْ سماتِ العيدِ سموُ النفوسِ وتكاتفُ المحسنين علىٰ إخفاءِ معالمِ الفقرِ والبؤسِ في هذه الأيامِ السعيدةِ بإغناءِ المحتاجين وإزالةِ عوزهم حتىٰ لا يتخلفوا عنْ جماعةِ النَّاسِ ولا تفوتُهم مباهجُ العيدِ ومسراتُه في صورةٍ مثاليةٍ منْ المسؤوليةِ الاجتماعية.

وتتميزُ الأعيادُ الإسلاميةُ عنْ أعيادِ الأممِ الأخرىٰ وعنْ الأعيادِ البدعيةِ بمزايا عدَّة منها:

أنَّها ربَّانيةٌ أمرَ اللهُ - سبحانه - بها وبلَّغَها الرسولُ - ﷺ - قولاً وفعلاً وإقراراً لأمته.

أنَّهـا تجـيءُ بعـدَ موسـمينِ عظيمـين وبعـدَ أداءِ ركنـين مـنْ أركـانِ الإسلام.

أنَّ إطعـامَ الفقـراءِ وإغنـائهم في هـذين اليـومين واجـبٌ أوْ فضـيلةٌ تتضاعفُ بشرفِ الزمان.

لـيسَ في أعيادِنـا اسـتباحةٌ للمحرمـات؛ فلنـا أنْ نفـرحَ ونلهـو بكـلِّ حلالٍ لا حرجَ فيه علىٰ الدِّينِ أوْ المروءة.

أنَّهما يجيئـانِ في جميـعِ فصـولِ السـنةِ كمزيـةٍ للتقـويمِ الهجـري خلافـًا لأعيادٍ محبوسةٍ علىٰ فصولٍ لا تبرحها.

أنَّهـا فرصـةٌ لاجتمـاعِ الأمـةِ علـىٰ مسـتوياتٍ مختلفـةٍ في الصـلواتِ واللقـاءاتِ العائليـةِ والإقليميـةِ أوْ علـىٰ الصـعيدِ الطـاهرِ في الموسـمِ الميمون.

أنَّهـا خُصـتْ بأسـماءٍ شـرعيةٍ مثـل: "الفطـر" وَ "الأضـحىٰ" وَ "يـوم الجوائز" وَ "يوم الحج الأكبر".

أنَّ العيـدَ عبـادةٌ وتعبيـرٌ عـنْ السـعادةِ بتمـامِ الطاعـةِ وسـؤالِ القبـولِ مـنَ الربِّ الكريم.

أعيادُنـا شُـرعتْ لـذكرِ الله وشـكرِه وتكبيـرِه وحمـدِه؛ فهـي أنـسٌ بـالله وفرحٌ بدينه مع ما فيها من جوانبَ دنيوية.

الفضـائلُ الكثيـرةُ ليـومِ الجمعـة؛ ويكفـي أنَّ اللهَ – سـبحانه- أضـلَّ عنه أهلَ الكتابِ وهدانا له وجعلَهم لنا تبعـًا.

ومعَ هذهِ المزايا لأعيادِنا وغيرها إلاَّ أنَّنا نلاحظُ أنَّ عيدَ الأمةِ المحمديةِ ليسَ لهُ من الحضورِ العالمي ما لأعيادِ النصارىٰ التي يتسامعُ بها النَّاسُ شرقًا وغربًا؛ وتتعطلُ لأجلها المصالحُ والأعمالُ ويحتفلُ بها أهلُها بعزةٍ وغيرُهم بذلةٍ وضَعَة! ومنْ ذلكَ جعلُ الجمعةِ سابعَ أيامِ الأسبوعِ وهو أولهُا بنصِّ الحديثِ الصحيحِ عن نبينا -عليه الصلاة والسلام-. وقدْ يهونُ علينا خطبُ الإهمالِ منْ قِبَلِ الأممِ الأخرىٰ بيدَ أنَّنا نقفُ كثيراً عندَ انصرافِ عددٍ منْ البلدانِ والمجتمعاتِ الإسلاميةِ عنْ أعيادِنا التي تُمثِّلُ خصيصةً سياديةً للبلدِ وأهله.

ومنْ مفرداتِ هذا الانصرافِ الذهولُ عنْ فضائلِ يومِ الجمعةِ وصرفِ خيريتهِ تجاهَ السهرِ قبلَه وداخلَ الفُرشِ الوثيرةِ خلالَه؛ وكذلك ضمورُ الفرحِ الشرعيِّ بالأعيادِ خلافًا لما يحدثُ أيامَ ميلادِ المسيحِ -عليه السلام- ورأسِ السنةِ الميلاديةِ في كثيرٍ منْ بلدانِ المسلمين المأمورينَ باجتنابِ شهودِ الزور. ومنْ المؤسفِ أنْ يُعظِّمَ اليهودُ يومَ سبتِهم متجاهلينَ المصالح الدولية ولا نفعلُ شيئًا معقولاً منْ ذلكَ تجاهَ أعظمِ أيامِ الأسبوعِ حتىٰ ولوْ كانتْ مصالحُ الآخرين تحتَ سيطرتِنا ليستمرَ العالم في غفلتهِ عن أعيادِنا.

ومعَ تجدُّدِ هذه المناسبة نتمنَّىٰ أنْ تكونَ برامجُ العيدِ العامةِ متوافقةً معَ الشرعِ الحكيمِ الذي سنَّها ابتداءً، وملتزمةً بالأنظمةِ المُعلنةِ التي لا تناقضُ أحكامَ الله، ومراعيةً لمصالحِ المجتمعِ

وأعرافهِ المقبولة ، حتىٰ يفرحَ الجميعُ بيومهم المباركِ بلا تنغيصٍ منْ منكراتٍ أوْ سوءِ تنظيم ؛ وحتىٰ تظلَّ عواصمُ المسلمين ومدنُهم محافظةً علىٰ هويتِها في كلِّ مناسبةٍ وتخالفَ ما يدعو له شياطينُ الأنسِ تحتَ غطاءِ البسمةِ والفرح ؛ إذْ البسمةُ يمكنُ تحقيقُها بلا آثامٍ والفرحُ عبادةٌ ومنْ الخزي جعلُه معصية.

الأحد ٢٥ من شهر رمضان الأغر ١٤٢٨





العيد: يوم الزينة والبسمة

الأعياد من خصائص المجتمعات والحضارات وجزء مهم من نسيجها الثقافي، ولا توجد أمة بلا عيد كما لا يكون عيد بلا أمة خاصة حين كانت الأعياد مرتبطة بالمناسبات الدينية فقط قبل أن تشيع الأعياد الدنيوية في هذه العصور المتأخرة حتىٰ صار للطماطم والعنب عيداً في بعض البلدان والحضارات.

والعيد خاصية تتميز بها الأمم عن غيرها وتُظهر به مدىٰ تمسكها بثقافتها وقيمها وتفصح عن مبلغ اعتزازها بتاريخها وتراثها، ولأن الأمر كذلك فمن المستغرب أن يهمل الناس عيدهم أو يغادروا بلادهم في أيامه -بلا عذر سائغ- وأعجب منه أن يحتفلوا بعيد أمة أخرىٰ ولا يوصف العجب حين تكون هذه الأمة باغية محاربة معادية لمن يحتفلون بيومها! وعلىٰ الطرف الآخر لا يحسن بأمة أن تحتفل بما يغضب معبودها في يوم عيدها وفرحها خاصة مع توافر النعم وكثرة المنن من الله سبحانه المنعم المتفضل بكل حال والمستحق للشكر دومًا.

ونحن المسلمون أعيادنا دينية؛ والدين عندنا لا ينفصل عن الدنيا ولا ينفك البتة، وقد جعل الله لنا عيداً أسبوعياً هو يوم الجمعة وعيدين سنويين يأتيان بعد عبادتين عظيمتين وبعد أداء ركنين من أركان الإسلام ومبانيه العظام.

فالعيد الأول: يوم الفطر المبارك الذي يعقب رمضان مباشرة وبه تبدأ شهور الحج، والعيد الثاني: يوم الأضحىٰ المبارك الذي يسمىٰ يوم الحج الأكبر وهو أعظم أيام السنة قاطبة ويحاط بيومي عرفة والقر اللذين يأتيان بعده بالفضل والمكانة.

وإن أي محاولة لإقحام عيد ثالث في السنة لن تنجح في وجدان المسلمين ولا في حياتهم تمامًا كما لا يمثل يوم الخميس شيئًا قياسًا بيوم الجمعة. وقد شرعت هذه الأعياد بعد العبادات لتكون لنا فرحًا بالله وأنسًا بطاعته وسروراً بالقبول المرجو والظفر المنشود ولذا يسمىٰ يوم الفطر بيوم الجوائز وجمعت أكثر أعمال الحج في يوم الأضحىٰ.

والعيد لنا أهل الإسلام يوم لباس وزينة وتجمل؛ وموسم سرور وفرح وحبور؛ ولذلك يتسابق الناس في العيدين لإطعام الفقراء قبل صلاة عيد الفطر وبعد صلاة عيد الأضحىٰ حتىٰ لا يبق بيت أهله جياع.

ولعل من فضل الله علىٰ المجتمعات الإسلامية أن أكثر الناس يخرجون زكواتهم ويزيدون من صدقاتهم في رمضان وعشر ذي الحجة حتىٰ يجد الفقراء ما يشترون به الجديد والأنيق من الثياب والملبوسات فلا تحزن قلوبهم بتميز أحد عليهم أوبتخلفهم عن عادة عموم الناس؛ وفي هذا من المعاني الإجتماعية النبيلة ما ينبغي علينا

استصحابه طوال العام ومجانبة البذخ والترف فالفقراء وأشباه الفقراء لا يستطيعون مجاراة غيرهم في مناسبات الزواج وحفلات التخرج وغيرها.

والعيد وسيلة لتواصل الأقارب والأصدقاء ومناسبة وجيهة لاجتماع العوائل وتصافي النفوس وإزالة ما علق بها من غبار الدنيا؛ وهو فرصة عظيمة ليتوافق مكنون القلب مع ما يظهر على المحيا من ابتسامة وصفاء. كما أن العيد طريق لإسعاد الأطفال الذين لا يحلو عيد بدونهم فهم من أجمل معاني العيد لأن حياتهم كلها عيد وفرح وسلامة صدر فإذا جاء عيد الناس فهو لهؤلاء الأطهار عيدان لا عيد واحد. وليس أغلظ من ولي أمر لا يشيع السرور في نفوس صغاره إبان هذا الموسم البهيج؛ ولا أقسى من أبٍ لا يعرف عن أطفاله شيئًا حتى في العيد. كما أن العيد فرصة لتجديد الحب بين الرجل وزوجه وفيه سانحة لبعث معاني الزوجية الجميلة والعشرة الكريمة خاصة إن كان ثم جفوة أو انقطاع.

والعيد ضيف خفيف الظل وزائر لايتخلف عن ميعاده؛ ورديف كريم لمواسم الله وأيامه فلا مناص من حسن استقباله بكل خير ولهو مباح وبما يجمع ولا يفرق وبالمعروف المقبول من ألوان المباهج والزينة والاحتفالات دون المرفوض لمآخذ شرعية أو نظامية؛ وعليه فالمأمول من المخططين لاحتفالات العيد ومنفذيها أن يتحاشوا كل ما يخدش تعاليم الشرع المطهر أو يجلب غضب الناس ويكدر

صفوهم؛ فلا نريد احتفالاً يكون فيه من المنكرات ما يقود للفتن ما ظهر منها وما بطن ولا نريد من الاحتفالات ما يسبب الزحام واختناق الطرق.

وإن الإبداع كل الإبداع أن تكون الفرحة بالعيد غامرة والسعادة به سابغة مع انضباط تام وتحوط كبير. وإن الذين سعوا ويسعون في إفساد رمضان والحج علىٰ ما لهما من قداسة لا يأبهون بالعيد من باب أولىٰ خاصة مع انفكاك إخوانهم المردة من الأصفاد، وهؤلاء النشاز لا مكان لهم في مجتمعنا ولا نظام حكمنا فمن المنطقي ألا يكون لهم يد ولا رأي في أيام فرحنا.

وحين نستقبل العيد بما يرضي الله فعلينا أن نودعه بما يرضيه سبحانه من عزم علىٰ استدامة الطاعات والقرب وعلىٰ العودة لأعمالنا ومناشطنا ونحن أقرب للمعروف وأصدق في التعامل وأحرص علىٰ الشأن العام بما يفيد البلاد والأمة؛ كيف لا وأعيادنا مظهر من مظاهر القوة والعزة.

الثلاثاء ٢٥ من شهر رمضان الأغر ١٤٢٧

العيد والكتابة!

هل يمكن أن يتوقّف الكاتب أو الشّاعر أو الرّسام في العيد وأمثاله من المواسم العامّة، وهل فكرة التّوقف عن العمل الإبداعي أمر وارد من الأساس؟ هذا سؤال يجول في أروقة الكتابة وداخل نفوس حملة الأقلام، فهم بين المشاركة مع المجتمع من ناحية، وبين الاستجابة لإلحاح الحرفة العظيمة من ناحية أخرىٰ.

نظريًا يمكن التّوقف بمعناه المتعارف عليه، وفعليًا لا يحدث ذلك من الكاتب وإن لم يكتب؛ لأسباب سيرد بيانها، وكلّ كاتب يعرفها، ويجد أثرها في مسيرته الكتابيّة. ففي العيد مشاعر، ومواقف، وملاحظات، وأفكار، وهل الكتابة إلّا إظهار شعور، وحفظ موقف، والتقاط ملاحظة، وتسجيل فكرة، ثمّ التوسع فيها بما يناسب بعد ذلك؟ ولكثير من المبدعين نصوص مرتبطة بالعيد مثل قصائد المتنبي وابن عبّاد وأبي ريشة، وللرّافعي مقالة عن حوار بين خروفين رآهما ليلة الأضحىٰ، وللطّنطاوي مقال عن مشاهداته في السّوق ليلة الفطر، والأمثلة واسعة سعة الزّمن، مختلفة باختلاف الحضارات.

وفوق هذا؛ يستطيع الكاتب أن يكتب في ذهنه ولو لم يكن بين أصابعه قلم أو تحت يديه لوحة مفاتيح، فالكتابة الذّهنيّة تعين علىٰ علاج حبسة الكاتب، وتزيد من الطّلاقة العقليّة، وتمنح فرصة إضافيّة

للتّحرير والتّنقيح، ولها فضيلة إضافيّة حين يمضي الكاتب معها وقتًا لا بدّ من قضائه في انتظار، أو مجاملة، أو لاكتساب القدرة علىٰ هجران الأجهزة الحديثة.

كما يناسب أن يلتزم الكاتب بعمل متميّز في مسيرته تمامًا مثل اختلاف العيد عن سائر الأيّام قبله وبعده، فيكون له في كلّ فترة إنجاز إبداعي فريد من بين أعماله، وقد يلائم تخصيص العيد بكتابة تنشر البهجة والمتعة مثل الذّكريات، والطّرائف، وأيّ نص يحثّ علىٰ الاجتماع والتّصافح والمحبّة، فهنيئًا للقرائح بموسم عيدها؛ لأنّه كلّما استطاع الأديب أن يكتب في الأوقات الحرجة زادت مهاراته وقدراته وقيمته.

وفي الواقع فغالب النّاس في العيد يكتبون، وهي فرصة لرفع الحسّ باللّغة والجمال والأدب بين أفراد المجتمع، ولممارسة انتقاء الكلمات وحسن رصفها، ولو أطلقوا لمشاعرهم الحقيقيّة العنان بطريقة مختصرة واضحة بعيدًا عن العبارات المعلّبة؛ لاكتشفنا مواهب مدفونة تحت خداع الصّمت، أو غثاء النّسخ واللّصق؛ فبعضهم يعيد إرسال كلمة طويلة بلا روح، بينما يكتب آخر بضع كليمات تشّع منها معاني الحياة والفرادة، والله يجعلنا ومن يقرأ من الكتّاب ـ المحترفين والشّداة ـ في كلّ عيد كتّابًا صادقين مبدعين نافعين.

الجمعة ٠٤ من شهر شوال عام ١٤٤٠

٠٧ من شهر يونيو عام ٢٠١٩م

فهرس المحتويات

إنها مواسمنا! ٥
الكاتب ورمضان ٧
لماذا يجب أن نفرح بقدوم رمضان؟ ١١
القرآن يستقبل رمضان ١٥
رمضان: الضيف المُعَلِم ١٩
علىٰ مائدة الإفطار! ٢٤
أسرار رمضانية ٢٨
جماليات خطاب القرآن عن رمضان ٣٢
إبليس في مواسمنا وشعائرنا! ٣٦
أدعية نبوية خاصة! ٤٤
رمضان: الفرصة المواتية ٤٩
رمضان يتفاءل! ٥٣
رمضان: موسمُ العزَّةِ وشهرُ التربية ٥٦
رمضان: بوابةُ التحسينِ والتغيير ٦١

رمضان: حكومة العام! ٦٤
إذا انتصف رمضان! ٦٩
سلطان رمضان! ٧٢
نور من بدر! ٧٥
لفتات رمضانية ٧٩
رمضان شهر مقاومة! ٨٣
رمضان يدُكُّ حصون التَّغريب ٨٨
رمضان الخالد معنا ٩٢
رمضان يحرّرنا أم نحرّره؟ ٩٥
رمضان يوقظ الوعي فينا! ٩٩
رمضان وإحياء شبكات المجتمع! ١٠٤
الأموال ورمضان! ١٠٨
نفحة من ليلة! ١١٢
رمضان بين الزمن واللغة ١١٥
رمضان والحدث الأعظم ١١٨
رمضان واليسر! ١٢٠
رمضان وسمو المعاني! ١٢٤

زكاة الفطر: وداع واستقبال وحِكَم! ١٢٨
دلائل رمضانية قبيل الختام! ١٣١
أبواي ورمضان ١٣٦
العيد الأصيل يتألق ١٤١
يوم من الجنّة علىٰ الأرض! ١٤٥
العيد: لُحمة ورحمة ١٤٨
العيدُ: اجتماعٌ وفرحة ١٥٢
العيد: رمزُ القوةِ والاستعلاء ١٥٦
العيد: يوم الزينة والبسمة ١٦٠
العيد والكتابة! ١٦٤
فهرس المحتويات ١٦٦

أربعون مقالاً عن رمضان والعيدين

أحمد بن عبد المحسن العساف

